الحافلات تحترق
بقلم الأسير المجاهد
حسن سلامة
كتاب
2022م- 1444هـ
الإعلام العسكري
Military Information

الحافلات تحترق

عمليـــات الثَّـــأر المُقـــدَّس

للشـهيد المهندس **يحيى عيَّاش**

البرنامج الوطني لدار الكتب الفلسطينية
بطاقة فهرسة أثناء النشر
الهيئة العامة للشباب والثقافة – الإدارة العامة للمعارض والفنون والتراث

سلامة، حسن عبد الرحمن
الحافلات تحترق: عمليَّات الثَّأر المُقدَّس للشهيد المهندس يحيى عيَّاش/ حسن عبد الرحمن سلامة –غزة: الإعلام العسكري لكتائب القسام، 2022م.
(136) ص، 17*24
رقم الإيداع: 1886 / 2022

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾

الأحزاب :23

إهـداء

أهدي كتابي هذا...

إلى أرواح شـهداء هـذا العمـل البطـوليِّ الكبير، الذيـن بإخلاصهم اسـتحقُّوا أن يُعطيهم الله مـن كرمـه كمـا تمنَّوا، فكانـت عمليَّاتهم من أكبر العمليـات في تاريـخ هذه القضيَّة، وخلَّـدوا أسـماءهم بأحـرف مـن نـور، ونالـوا جنـان ربِّهـم باسـتحقاق، راجيـاً مـن الله أن يقبـل منهـم ومنِّي هـذا العمل، وأن يجعلـه خالصاً لوجهـهِ الكريم، وأن أنال شـفاعتهم، فهُـم أعطوني وعـداً بأن يشـفعوا لي...

إلى روح الشَّـهيد المهنـدس يحيى عيـاش "أبـو البـراء"، الـذي قـاد هـذا العمـل في حياتـه، وأصبـح دربـاً بعـد استشـهاده، وإلى جميـع أرواح الشُّـهداء في هـذا العالـم...

إلى كلِّ المجاهديـن المُخلصـين، الضَّاغطـين علـى الزِّنـاد، المرابطـين علـى الثُّغـور، المدافعـين عـن شـرف هـذه الأمَّـة وكرامتهـا وعِزتهـا، وعلـى رأسـهم حـركات المقاومـة في فلسـطين بقيـادة كتائـب القسَّـام، وجميـع الإخـوة المجاهديـن الذيـن شـاركوا في هـذا العمـل، وهـم كـثر، متمنِّيـاً كأسـيرٍ مـا أزال أقبـعُ في سـجون الاحتلال (الإسـرائيلي) وكثيريـن مـن إخـواني مثلي، ممَّـن يحلـم بالحرِّيَّـة ويعشـق شمسـها، وننتظـر بفـارغ الصَّـبر الوعـد الصَّـادق لهـذه الكتائـب الـتي وعدتنـا بـه بالإفـراج عنَّـا بإذن الله، وأملنـا بالله كبيـرٌ أن يكـون الفـرج قريبـاً...

أهـدي هـذا الكتـاب إلى تـاج رأسي "أمِّي"، الحبيبـة الصابـرة المحتسـبة، الـتي أتمنَّى رؤيتهـا وتقبيـل يديهـا وقدميهـا قبـل الـوداع الأخـير...

إلى مـن هـي روحي، الـتي أعادتني إلى الحياة من جديـد، وكان لدخولها حياتي الأثر الكبير، والـتي بتشـجيعها وإصرارهـا تمكَّنـتُ مـن كتابة هـذه الإضافـات إلى هذا الكتـاب؛ لكي يصـدر بالصُّـورة الجديـدة "خطيبـتي الصَّابـرة غُفـران زامـل"، متمنِّيـاً لهـا التَّوفيـق، وشـاكراً لهـا كلَّ جهودهـا، وداعيـاً الله أن يجمعـني قريبـاً بها.

تقديم

الحمد لله رب العالمين الذي استبقى – بعد هذه اللأواء – لهذه لأمة شعباً مجاهداً كشعب فلسطين، واصطفى منه رجالاً من ذوي العزيمة أمثال المجاهد البطل الأسير الحر بإذن الله حسن سلامة (أبو علي)، صاحب هذا الكتاب الذي يسرد فيه وقائع عمليات الثأر المقدس التي أشرف عليها بنفسه انتقاماً لروح رفيق جهاده الشهيد يحيى عياش.

لقد صيغت الأحداث في الرواية بتلقائية، ولغة سلسة، تعكس صفاء نفس، تربت على الصدق، والشجاعة، والإقدام، وعشق الشهادة.

ويروي الكتاب؛ ما واجهت فارسها حسن سلامة ورفاقه من صعاب تجعل من نجاح العمليات – لمن يتابع مخاطرها –أمراً مستحيلاً، و لكنها إرادة الرجال الذين تربوا في المساجد وتعلموا معنى الجهاد والاستشهاد، ولم يعرفوا الخوف ولا التردد، و في نفس الوقت تمتعوا بحكمة بالغة، ورباطة جأش منقطعة النظير، وسرعة بديهة، وقدرة على تجاوز الأزمات.

لقد خططوا تخطيطاً محكماً، وأداروا العمليات بكل هدوء وصبر، وكانوا دائماً يرجون توفيق الله، فحالفهم النجاح تارة، وتأخر تارة أخرى، لكنهم مضوا إلى الهدف حتى النهاية المشرفة.

حسن سلامة هذا الفارس العنيد الذي ترعرع في مسجد الشافعي بمخيم خانيونس، وتسلل منه مطارداً إلى الأردن، ومنها إلى السودان، ومنها إلى إيران، ثم إلى سوريا، فلبنان، فما لطا ثم إلى ليبيا، ومنها الى مصر عائداً مرة أخرى بعد سنتين قضاها مسافراً، كالطيور المهاجرة إلى غزة الحبيبة وإلى أهلٍ انتظروه، فلم يظفروا معه بلحظة واحدة من الاستقرار، حيث واصل جهاده فوراً مع رفاقه من كتائب القسام و مع الشهيد يحيى عياش، والقائد محمد الضيف (أبو خالد) حفظه الله.

لم يمكث حسن طويلاً حتى ربط بعد استشهاد عياش غزة بالضفة، وهناك وفي صحبة الأخيار المجاهدين الشهداء محي الدين الشريف وعادل عوض الله، وعماد عوض الله ؛ سطروا معاً ملحمة خالدة مع الاستشهاديين من مخيم الفوار ونابلس، الشهيد مجدي أبو وردة، و الشهيد إبراهيم السراحنة، و الشهيد رائد الشغنوبي، حيث أوقعوا بعملياتهم الاستشهادية عشرات القتلى ومئات الجرحى من جنود الاحتلال؛ في القدس، و عسقلان، ثأراً لروح الشهيد البطل يحيى عياش.

إنها البطولة المحفوفة برعاية الله ولطفه وعنايته وتوفيقه ..
إنها البطولة الممهورة بالصبر والتضحية، وتحمل أقسى ألوان الصعاب في سبيل تحقيق الهدف.
إنها البطولة التي ستظل شاهدة على أن هذه الأرض لن يحميها ولن يحررها إلا رجال المهمات الصعبة المؤمنون الصادقون الشجعان
" إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ".

إن إعادة الفضل إلى أصحابه هو سمة الأوفياء، لقد أعاد حسن الفضل إلى كل أساتذته في الجهاد محمد الضيف، ويحيى عياش، وياسر النمروطي، وغيرهم بعدما أكد دائماً على أن الفضل أولاً وأخيراً لله، الذي بنعمته تتم الصالحات، وكان حسن دائما متواضعاً أمام عظمة الاستشهاديين، الذي نفذوا العمليات البطولية، وفياً لأبطال مجموعة القدس المجهولين الذين شاركوه التضحية في كل المراحل الحرجة، و لاخوانه الشهداء : عادل عوض الله، و عماد عوض الله، ومحي الدين الشريف، و لأخيه الأسير الحر بإذن الله محمد أبو وردة، و الجندي البطل المجهول القواسمي، وغيرهم.

كما كان حسن نموذجاً للقائد الجندي الذي يدير المعركة بثقة واقتدار وثبات، ولكنه يظل مرتبطاً بأوامر قيادته، وها هو البطل حسن سلامة (أبو علي) بعد تسطير هذا الكتاب يقبع في سجنه ينتظر الوفاء من أهل الوفاء كما كان هو

وفياً حينما أذهب غيظ قلوب ملايين الفلسطينيين حينما لقن العدو درساً في البطولة والثأر والوفاء لقائده الشهيد يحيى عياش.

لقد آن الأوان لأن نرى البطل حسن سلامة حراً طليقاً بين أهله وأحبابه ليسطر مرحلة جديدة من العطاء لشعبه ووطنه كما كان دائماً.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يكون ذلك قريباً.

الحرية له وللأسرى الأبطال من اخوانه.

رحم الله الشهداء الأبطال وشفى الله الجرحى.

وانه لجهاد جهاد

نصر أو استشهاد

د. إسماعيل هنية

رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس

تقديم

شكلت عمليات الثأر المقدّس نموذجاً حيّاً وتحدياً كبيراً، أثبتت فيه قيادة كتائب الشهيد عز الدين القسام جدارةً منقطعة النظير، وقدرةً على اتخاذ القرار الحاسم في الوقت الصعب، في أحلك الظروف، وفي خضمّ عاصفةٍ جارفةٍ من المعطيات الصعبة والمعقدة، كان قرار الثأر لدماء المهندس الشهيد القائد يحيى عياش .

وبالرغم من الثمن الباهظ الذي دفعه مجاهدو القسام في حينه، وما تلا هذه العمليات المباركة من هجمة شرسة من العدو وأذنابه، إلا أن قيادة القسام في حينه وعلى رأسها القائد العام محمد الضيف أخذت القرار الصائب الصعب، وشقّت الطريق الوعر في سبيل الثأر لدماء المهندس وتلقين الاحتلال دروساً قاسية مؤلمة، مفادها بأن تلاميذ المهندس وإخوانه نهرٌ لا يجف وسيلٌ لا ينضب وفكرةٌ لن تموت.

انبرت هذه الثلة من قادة القسام لتنفيذ قسم الثأر وتحقيق وعد الأحرار، وكان رأس الحربة في التنفيذ القائد الأسير البطل حسن سلامة الذي يخطّ اليوم هذه الكلمات بمداد من نار ونور، مما عايشه وواكبه الأسير في رحلته نحو تنفيذ قرار إخوانه المجاهدين وقيادة عمليات الثأر المقدّس على أرض الضفة المباركة.

هي رسالة للأجيال ونموذج للتاريخ يعطي إضاءة من زاوية بطلنا الأسير على جانب من التخطيط والتنفيذ لهذه العمليات التي هزّت أركان الكيان، وأوجدت في قلبه المرتجف جرحاً عميقاً لن يندمل إلا بكنسه عن أرضنا ومقدساتنا بإذن الله.

فتحية لكاتب هذه الصفحات من سجل المجد لكتائب القسام، وإنّه وإخوانه الأسرى على موعد مع حريةٍ ونصرٍ وفرجٍ آت آت، بعون الله وتوفيقه أولاً ثم بقرار أصحاب الوعد الصادق من الثأر المقدس إلى وفاء الأحرار..

أبو عبيدة- الناطق العسكري لكتائب القسام

مقدمة

شاءت روائع الأقدار أن ألتحق بركب الجهاد وزُمرة المجاهدين، منذ انتفاضة الحجارة عام 1987م، وحظِيتُ بشرف الانتماء لحركة المقاومة الإسلاميَّة حماس، حيث نشأتُ وترعرعتُ واشتدَّ عودي بين رفقة السِّلاح في إحدى قلاع الكفاح، فمدينة خان يونس مسقط رأسي، ومسجد الإمام الشافعي محرابي، ذو الصَّرح الشَّامخ، الذي انطلقتْ منه كوكبةٌ من المجاهدين الأشدَّاء، الذين ضحُّوا بدمائهم وأرواحهم وأعمارهم رخيصةً في سبيل الله، فكان منهم الشُّهداء العِظام، أمثال الشَّهيدين القائدين "ياسر النَّمروطي، وجميل وادي، والشُّهداء المجاهدين "ماجد الصليبي، وصبحي أبو ناموس، ومحمد صيام، وأيمن راضي"، وغيرهم الكثير من الشُّهداء الكرام.

في رياض هذا المسجد المُبارك وجنباته، كانت بداية نشأتي، حيث تعلَّمتُ فيه دروساً متنوِّعةً في التَّربية والأخلاق، ومجاهدة الأعداء، والصَّبر على البلاء؛ لأنطلق بعد ذلك لملاحقة أعداء الإسلام من بني يهود في كلِّ مكان؛ فقد شهدتْ شوارع مدينتي "خان يونس" وأزقَّتها مُقارعتي لقوَّات الاحتلال، متدرِّجاً في عملي ضمن صفوف حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس، فكنتُ بارزَ الحضور، ناشطاً في جهاز الأحداث، الذي تولَّى إعداد وتنفيذ فعاليات الانتفاضة، التي اندلعت عام 1987م، ولكثرة نشاطي ومشاركاتي في تلك الفعاليات كنتُ أُنعت بلقب "الدِّينامو".

وقد تعرَّضتُ خلال سنوات هذه الانتفاضة للاعتقال الإداريِّ ستّ مرَّات، أكسبتني إصراراً وثباتاً على ذات النَّهج، وفي خضمِّ المواجهات ضدَّ جنود الاحتلال أُصبت بطلقةٍ "مطَّاطيَّةٍ" في فخذي الأيمن، فسارع إخواني إلى نقلي لمكانٍ آمنٍ بعيدٍ عن مسرح المواجهة؛ لتلقي العلاج، غير أنَّني آثرتُ المُضيَّ ومواصلة المسير، رغم كلِّ الابتلاءات المُتوالية، والتي كنتُ أنظر لها بأنَّها محطَّات إيمانيَّة يتوقَّف عندها المجاهد ثمَّ ما يلبث أن يُواصل المسير فكان ذلك.

وبعد خروجي من الاعتقال الأخير عام 1992م انتقلتُ للعمل ضمن المجموعات الضَّاربة لحركة حماس "الصَّاعقة الإسلاميَّة"، وبرزتُ كأحد قادة تلك المجموعات في مدينة "خان يونس"، والتي كانت تتولَّى القيام بملاحقة الخونة والعملاء والمُتساقطين، الذين كانوا بمثابة الشِّريان المُغذِّي لقوَّات الاحتلال وأجهزته الأمنيَّة بالمعلومات، عدا عن دورهم الخبيث في نشر الفساد والرَّذيلة بين أفراد المجتمع الفلسطيني، من خلال إسقاط ما يستطيعون من أفراد هذا المجتمع؛ ليتسنَّى للمحتلِّ بعد ذلك السَّيطرة على كافَّة جوانب الحياة لهذا الشَّعب الفلسطيني المظلوم، فكان أفراد هذه المجموعة يلاحقون هؤلاء العملاء، حيث تمَّ اختطاف العديد منهم؛ والتَّحقيق معهم ومن ثمَّ إنزال العقاب المناسب بحقِّهم وقد امتدَّ نشاطي في هذا الجهاز حتَّى منتصف عام 1993م، حيث تمكَّنتْ قوَّات الاحتلال من إلقاء القبض على أحد أفراد المجموعة، وعلى إثر ذلك كان قرار قيادة المنطقة التَّنظيميَّة مغادرتي قطاع غزَّة وعددٍ من أفراد المجموعة، حيث تمكَّنتُ بفضل الله من السَّفر إلى مملكة الأردن، ومن هناك إلى دولة لبنان، ثم انتقلتُ إلى جمهوريَّة سوريا، ومنها إلى جمهوريَّة إيران، والتي مكثتُ فيها فترةً من الزَّمن، أمضيتُها في معسكرات التَّدريب هناك،وتدربت على أنواع الأسلحة كافَّة، إضافَّة إلى الخبرة العالية التي اكتسبتُها من هذه التَّدريبات في مجال صناعة المُتفجِّرات والعبوَّات النَّاسفة، وغير ذلك من فنون القتال الأخرى، وبعد انتهاء فترة التَّدريب هذه عدتُ إلى جمهوريَّة سوريا، ولم أزل أحمل في قلبي وعقلي حبّاً لأرض فلسطين المباركة، فلطالما انتظرتُ بشوقٍ ولهفٍ ذلك الموعد الذي حدَّدتْه لي قيادة الحركة بالعودة إلى أرض الوطن، ليبدأ المشوار من جديد، ولكن هذه المرَّة بطرق وأساليب من نوعٍ فريد.

في العاشر من ديسمبر عام 1994م وطأتُ بقدمي تراب فلسطين، بعد أن تمكَّنتُ من اختراق الحدود المصريَّة جنوباً، حيث مدينة رفح، برفقة أخي المجاهد الشَّهيد عماد عبَّاس، ليكتب الله لنا قدر الوصول إلى قطاع غزَّة بعد طول غياب، ونذكرُ هنا ما كتبه الصَّحفيُّ (الإسرائيلي) "دافيد رغيف" –المراسل في صحيفة

يديعوت أحرنوت- حيث كتب يقول: "وبعد أنْ أنهى (سلامة) تدريباته العسكرية في إيران عاد إلى سوريا، حيث حصل من قيادته هناك على التَّعليمات الأخيرة ببدء العمل في المناطق الفلسطينيَّة، ثمَّ رتَّب (سلامة) أوراقه جيِّداً وحمل حقيبته، وطار دون علم أحدٍ إلى مالطا، بمساعدة مهرِّبين، دفعتْ لهم (حماس) عشرة آلاف دولار، ومن هناك انتقل إلى ليبيا،ثمَّ تهريبه بواسطة البدو إلى مصر، حيث تمكَّن من خلالهم اجتياز أخطر حقول الألغام التي كانت مزروعةً في تلك المناطق الحدوديَّة، ومن هناك عاد (سلامة) إلى قطاع غزَّة؛ ليُباشر عمله من جديد"

عدتُ إلى قطاع غزَّة فلم أجده كما تركتُه، فقد كانت السُّلطة الفلسطينيَّة قد جاءت إليه؛ بناءً على الاتفاقيَّات التي عقدتها (منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة) مع حكومة العدوِّ، تمكَّنت بموجبها من فرض سيطرتها على قطاع غزَّة، شرط بقاء الحال على ما هو عليه من وجود (المستوطنات) وبعض المواقع العسكريَّة داخل القطاع، بل والتَّعهُّد التَّامِّ من قبل السُّلطة وجيشها العتيد بحماية (المستوطنات) من أيَّة اعتداءاتٍ فلسطينيَّة، في ظِلِّ هذا الواقع كانت العودةُ غايةٌ في الصُّعوبة، وقد حدث ما لم يكن في الحُسبان، حيث وصلت المعلومات إلى الدَّوائر الأمنيَّة الفلسطينيَّة عن وجود شخصين يحملان أسلحةً عبرا إلى مدينة رفح من خلال الحدود المصريَّة، وقد كانت ملابس أحدهما ملطَّخةً بالدِّماء، وبعد دقائق معدودة وإذ بالمنطقة التي وُجدتُ فيها برفقة أخي عماد عبَّاس محاصرة بقوَّات أمنٍ فلسطينيَّة، وأخذوا يُطالبوننا بتسليم أنفسنا، مقابل معاملتنا بلطف بعد التَّأكُّد من شخصيَّتنا، فسلَّمنا أنفسنا، ظانِّين أنَّ واقع اليوم ليس كما الأمس على السَّاحة الفلسطينيَّة، وأنَّ قيادة الحركة ستتمكن من إنهاء الأمر على عجل.

اقتادونا إلى أحد المراكز السِّرِّيَّة بمدينة غزَّة، ومكثنا في الحجز المُتنقِّل قُرابة الستَّة أشهر، حتَّى تمكَّنت قيادة الحركة من النَّجاح في إطلاق سراحنا بعد جولاتٍ من المفاوضات العنيدة مع السُّلطة وباقي الفصائل الفلسطينيَّة في وقتها، وهنا أذكر أنَّه وقبل إطلاق سراحي جاءني مسئولٌ أمنيٌّ كبيرٌ في السُّلطة الفلسطينيَّة،

يحمل رسالة قيادته وعرضهم، بأن أعمل في صفوف السُّلطة برتبة "رائد"، إلَّا أنَّ هذا الطَّلب قد قوبل بالرَّفض التَّام.

لم يمضِ من الوقت الكثير على خروجي من سجون السُّلطة، وقد أصبحتُ أُدرك جيِّداً طبيعة الأمور على الأرض، فسارعتُ باستئناف نشاطي الجهادي، فتواصلتُ مع إخواني المجاهدين، وعكفتُ على بناء علاقةٍ وثيقةٍ مع قادة الحركة بمن فيهم قادة الجناح العسكري "كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام"، حتَّى غدوتُ على اتِّصالٍ مباشرٍ بالقائد العام "محمَّد الضَّيف"، إضافةً للقائد القسَّاميِّ المهندس "يحيى عيَّاش"، الذي كان قد وصل إلى قطاع غزَّة في ذلك الوقت.

جاء قرار قادة القسَّام بتعييني إحدى حلقات الوصل بين القائد "محمَّد الضَّيف" والشَّهيد المهندس "يحيى عيَّاش" من جانب، ومقاتلي كتائب القسَّام العاملين على أرض القطاع من جانبٍ آخر، كنتيجةً طبيعية للخبرة العسكرية التي اكتسبتها خلال رحلة الخارج، التي أكسبتني خبرةً عسكريَّةً وبناء علاقاتٍ متنوِّعة المستويات "الخارجيَّة والدَّاخليَّة"، والتي كان لابدَّ من استثمارها في إدخال معدَّاتٍ عسكريَّةٍ متنوِّعةٍ إلى القطاع، بما فيها كمِّيَّاتٍ كبيرةٍ من مادَّة (TNT) قويَّة الانفجار؛ بغرض استخدامها في صناعة القنابل والعبوَّات والحقائب النَّاسفة، التي كان لها دورها فيما بعد في هلاك الكثير من بني يهود (جنوداً ومستوطنين)، ورحيلهم إلى جهنَّم وبئس المصير، بل وتعدَّى الأمر ذلك لنتمكَّن من تزويد الجناح العسكري بماكينةٍ لطحن مادَّة (TNT)؛ تسهيلًا لعملية إعداد الحقائب المتفجِّرة.

بعد مرور مدَّةٍ من الوقت على عملنا العسكري، استلمتُ تكليفاً من القائد "محمَّد الضَّيف" بالإعداد؛ للقيام بعمليَّةٍ عسكريَّةٍ نوعيَّةٍ داخل القطاع، تهدف لزرع الرُّعب في قلوب (المستوطنين) وجيشهم، الذي يتولَّى حمايتهم، ومن ثَمَّ إجبارهم على الرَّحيل من قطاع غزة دون عودة، وعلى الفور بدأنا بالتَّحرُّك العاجل وإجراء مجموعة اتِّصالاتٍ بالمجاهدين من أصحاب الاختصاص؛ لبدء عمليَّات الرَّصد والاستطلاع، فكان المطلوب هدفاً من النَّوع الثَّقيل، وبعد أيَّامٍ

قلائل تـمَّ تحديـد الهدف؛ حيـث "حافلـةُ ركَّابٍ تنطلق من (مسـتوطنة نفيـه دكاليم) وتتوقَّف في الاسـتراحة المُقامة أمام البوَّابة الرَّئيسـيَّة (للمسـتوطنة)، يسـتقلُّها عددٌ كبيرٌ من الجنـود الذيـن أنهـوا خدمتهـم؛ للعـودة بهـم إلى داخـل الأراضي المحتلـة عـام 1948م.

لـم يكـن خـبر تحديـد مثـلِ هـذا الهـدف هيِّنـاً علـى القائـد "محمَّـد الضَّيـف"، الـذي طـرْتُ بـه إليـه، فكانـت الفرحـة كبـيرة، والمُصادقـة علـى طبيعـة الهـدف، وبَدء الإعـداد للتَّنفيـذ، حتَّى وقـع الاختيـار على المجاهـد "معاوية روقـة"؛ لتنفيـذ العمليَّة، حيـث كان متشـوِّقاً للقـاء ربِّـه مُقبـلاً غـير مُدبر، وبعـد تهيئـة الظُّروف جمع بيـني وبينـه لقـاءُ، شـرحتُ لـه فيـه طبيعة العمليَّـة والهدف، مُتبعًـا ذلك بإعداد وتركيـب الحقيبة النَّاسـفة أمامـه، وفي ختـام اللقـاء تـمَّ الاتِّفـاق علـى الموعـد النِّهـائيِّ للتَّنفيذ.

في يـوم الأحـد بتاريـخ 25/6/1995م ترجَّـل الاستشـهادي "معاويـة" بنيَّتـه المتجـدِّدة إلى مـكان اللقاء، الذي سيسـتلم فيه الحقيبة النَّاسـفة، وهنـاك وجد إخوانه في انتظـاره داخـل إحـدى المـواصي غـرب مدينـة "خـان يونس"، فتسـلَّم منهـم حقيبتـه وودَّعهـم، منطلقًـا صـوب الهـدف المخطَّـط لـه، إلَّا أنَّ قـدر الله لـم يشـأ لـه أن يصلـه، حيـث قـام بتفجير نفسـه بين دوريَّتـين للعدو، وربمـا كان هناك تقديرٌ معـيَّنٌ جعل هذا المجاهـد يُفجِّـر نفسـه في هـذا المكان، ما أدى بحسـب رواية العدوِّ إلى إصابة خمسـةٍ من الجنـود، كانـت إصابـة اثنين منهـم خطرة.

عقـب هـذه العمليـة والعديـد مـن العمليَّـات المُتفرِّقـة الـتي كنـتُ جـزءاً منهـا، قامـت أجهـزة الأمن الفلسـطينيَّة وبنـاءً على معلومـاتٍ وصلتها من أجهـزة المخابرات الصُّهيونيـة بوضعـي علـى قائمـة الاعتقـال، الأمر الذي أرغمـني على الانتقـال فوراً إلى حيـاة المطـاردة بجانـب إخـواني المجاهديـن مـن كتائـب القسَّـام، وتبـع هـذا القـرار قيـام أجهـزة السُّـلطة المختلفـة بالمداهمـات المتتاليـة لبيـت عائلـتي، إلَّا أنَّهـم كانـوا في كلِّ مـرَّةٍ يفشـلون في العثـور عليَّ، مواصـلاً طريـق جهـادي غـير ملتفـتٍ لمهاترات السُّـلطة ومحاولاتهـا البائسـة في القبـض عليَّ.

يـوم أن اسـتيقظ الشَّـعب الفلسـطينيُّ علـى صعقة خـبرٍ أذاعته وسـائل الإعلام باغتيـال القائـد المهنـدس يحيى عيَّاش، عـبر عملية أمنيَّـةٍ معقَّدةٍ جدّاً، اسـتخدم العدوُّ في تنفيذهـا أقـوى مـا يملـك مـن تكنولوجيـا عسـكريَّة، ومُعتمـداً في ذلـك علـى أحقـر خلـق الله في الأرض –العمـلاء–، حيـث تمكَّـن بمسـاعدة أحدهـم من زرع جهـاز تفجيرٍ دقيـقٍ جـدّاً في أحـد الأجهـزة الخلويَّـة التي اسـتعملها المهنـدس؛ مـا أدَّى لانفجـار الجهاز الخلـويِّ في وجـه المهنـدس حـين اسـتخدمه واستشـهاده علـى الفـور. لـم يكـن بالطبـع وقـع هـذا الخبر علـى قلبي وسـائر إخـواني المجاهدين كغيرهم مـن عامَّة النـاس، فكيف نكـون كغيرنـا، وهـو الـذي عاش بيننـا مجاهداً صنديـداً، ومهندسـاً معلِّماً، وأخـاً عزيزاً، وضيفـاً كنَّـا نتـوق إلى مسـامرته، وفجـأةً يغادرنـا دون وداعنـا، ولو بنظراتـه الجميلة.

ثبـاتٌ مـن ربٍّ عزيـزٍ أجـرى بـه علـى لسـاني كلمـاتٍ صدحـتُ بهـا؛ لتهـزَّ أروقـة المحكمـة وأنـا مقيَّـد اليديـن والقدمـين، ومحاطٌ بعشـرات الجنـود، في لحظـةٍ كان فيها الجميـع قـد ارتقـب سـماع الحكم الذي سـيصدر عـن القُضـاة، وأثنـاء ذلك تسـلَّل أحد الصَّحفيِّـين (الإسـرائيليين) حيـث أقـف ووجَّـه سـؤاله لي قائـلاً: "هـل أنت نـادمٌ على مـا قمـتَ به من عمليـات" فأجبتُه بابتسـامةٍ تملأ قلوبهم غيظاً قائـلاً: "أودُّ أن أُخبرك أنَّ الانتقـام لدمـاء الشَّـهيد المهنـدس يحـيى عيَّـاش كان قليـلاً، وكان يجـب أن يكـون أكبر مـن ذلك".

وفي نهايـة هـذه المحكمـة أصـدر القُضـاة حكمهـم بالسَّـجن 48 مؤبَّـد، إضافـةً إلى 35 سـنةٍ وسـتَّة أشـهر... لتحـلَّ على قلبي سـكينةٌ، وعلـى وجهي ابتسـامةٌ رصدَتْها عدسـة المصوِّريـن، لتبقـى خالـدةً في تاريـخ الصِّـراع الفلسـطينيِّ (الإسـرائيلي) حـتَّى تحريـر فلسـطين كلِّ فلسـطين بإذن الله.

حسن سلامة

سجن نفحة الصَّحراوي

2022م

مبحث تمهيدي

تمهيد

قد يكون السَّبب الرئيس لاقتناعي بفكرة الكتابة عن عمليَّات "الثَّأر المُقدَّس" عام 1996م، من بداية التَّنفيذ وما حدث خلالها من أخطارٍ ومصاعب؛ أنَّ هذا العمل ليس إرثاً تملكه حركة حماس وكتائب القسام فقط، بل إرثٌ وحقٌّ لكلِّ فلسطينيٍّ التَّعرُّف عليه، والتَّنقُّل به أينما حلَّ وارتحل، خاصَّةً بعد أن أصبح ما حدث مكشوفاً تماماً، كما أنَّه شيءٌ بسيطٌ أُقدِّمه لإخواني الذين عشت معهم مدَّة العمل، ومنهم من كان مدرِّسي ومُعلِّمي وقُدوتي، كالشَّهيد المهندس يحيى عيَّاش، الذي هو صاحب الفضل الأوَّل بعد الله فيما حدث؛ لأنَّه هو الذي خطَّط لعمليَّات الثَّأر لنفسه.

لذلك أتمنَّى لهذا العمل أنْ يرى النُّور؛ تخليداً لذكرى استشهاد المهندس، وتكريماً لإخوةٍ وشهداء آخرين، وقفوا بجانبي وساعدوني ولم يبخلوا بشيءٍ من أجل إتمام العمل، أمثال الشُّهداء الأبطال "محيي الدِّين الشَّريف، وعادل عوض الله، وأخيه عماد عوض الله"، الذين اختارهم الله شهداء عنده، واختارنا لنكون ممَّن ينتظر بإذنه تعالى، إضافةً لإخوةٍ آخرين شاركوا في هذا العمل، بل وهم أساسه، وهم الشُّهداء الذين قاموا بتنفيذ العمل، وهم الشُّهداء العظماء "مجدي أبو وردة، وإبراهيم السراحنة، ورائد الشَّغنوبي".

إنَّ ما حدث كان عملاً ضخماً ومشروعاً كبيراً، شارك فيه الكثيرون، كلٌّ له دوره، ولذلك سأعمل بإذن الله على تفصيل كلِّ شيءٍ مع تخصيص شيءٍ لإخواني الشُّهداء الذين عشتُ معهم وشاركوني هذا العمل؛ كي أتحدَّث عنهم وعن جهادهم، ودورهم في هذا العمل، والأشياء الخاصَّة التي حدثت معهم؛ لأنَّه أصبح من الضروري أن يُرفع السِّتار عنها، ونعيش ظلالها بين تلك السُّطور.

أبطال غزوة الثَّأر المُقدَّس

1- الاستشهاديُّ المجاهد / مجدي محمَّد أبو وردة "منفِّذ العمليَّة الاستشهاديَّة الأولى في خطِّ رقم ١٨ بمدينة القدس":

الاستشهادي المجاهد مجدي محمد أبو وردة				
نوع العملية	تاريخ الاستشهاد	البلدة	الحالة الاجتماعيَّة	الرتبة العسكريَّة
استشهاديَّة	1996/2/25م	"مخيم الفوار" جنوب الخليل	أعزب	جندي

الشهيد المجاهد / مجدي محمد أبو وردة

وُلد شهيدنا المغوار مجدي أبو وردة في مخيَّم الفوار جنوب مدينة الخليل بتاريخ 1977/5/23م، عُرف بسمْته الإيمانيِّ وحرصه على صلاة الجماعة في المسجد، فكان قلبه معلَّقاً بمسجده "الفوار القديم"، اشتهر بإقدامه وجُرأته منذ صغره، وكذلك قربه من الآخرين وحبِّهم له، فكان شديد القرب من رفيق دربه الشَّهيد "إبراهيم السَّراحنة".

تأثَّر المجاهد مجدي عميق الأثر باستشهاد المُهندس يحيى عيَّاش، حتَّى بدا على تعابير وجهه الرَّغبة بالثَّأر لدماء المُهندس، ارتدى شهيدنا زيَّ شبَّانٍ يهود؛ بغرض عمليَّة التَّمويه، واستقلَّ باص رقم (18) بمدينة القدس المحتلَّة، وما أن حانت لحظة التَّنفيذ حتى جعل من جسده حممًا تُمزِّق محتلَّ الأرض وسالب الهويَّة، في عمليَّةٍ بطوليَّةٍ أدَّت إلى مصرع (28) صهيونيّاً، وجرح نحو (50) آخرين، منها حالات خطيرة سبَّبت إعاقاتٍ دائمةٍ لبعضهم.

2- الاستشهاديُّ المجاهد / إبراهيم أحمد السَّراحنة "مُنفِّذ العمليَّة الاستشهاديَّة الثَّانية في محطة الباصات بمدينة عسقلان":

الاستشهادي المجاهد إبراهيم السَّراحنة				
نوع العملية	تاريخ الاستشهاد	البلدة	الحالة الاجتماعيَّة	الرتبة العسكريَّة
استشهاديَّة	1996/2/25م	"مخيم الفوار" جنوب الخليل	أعزب	جندي

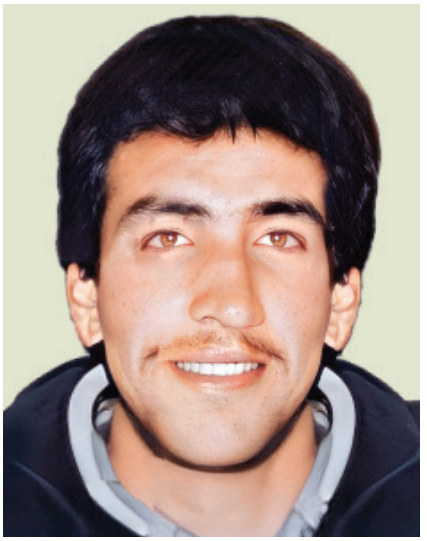

الشهيد المجاهد / إبراهيم أحمد السَّراحنة

وُلد شهيدنا المجاهد في مخيَّم الفوار للاجئين عام 1971م، فعُرف باجتهاده في الدِّراسة، حتَّى أنهى الثَّانويَّة العامَّة، ملتحقاً بكلِّيَّة الشَّريعة الإسلاميَّة بجامعة الخليل، وفي تلك الفترة جهَّز بيته وأتمَّ بناءه تهيئةً للزَّواج، فكان زواجه من اللاتي هنّ خير، ونحسبه أنَّه قد تعجَّل بيتاً خيراً من بيته.

فبعد مرور دقائق معدودة على العمليَّة الأولى، انطلق الاستشهادي "إبراهيم السَّراحنة" بحزامه النَّاسف صوب محطَّةٍ للباصات بمدينة عسقلان المحتلة، مفجِّراً نفسه كثاني ردٍّ قسَّاميٍّ على عمليَّة اغتيال المهندس يحيى عيَّاش، ناتجًا عن ذلك مقتل مجنَّدةٍ صهيونيَّةٍ وإصابة (40) آخرين بجروحٍ مُتفاوتة.

3- الاستشهاديُّ المجاهد/رائد عبد الكريم الشَّغنوبي "مُنفِّذ العمليَّة الاستشهاديَّة الثَّالثة في خط رقم ١٨ بمدينة القدس":

الاستشهادي المجاهد رائد عبد الكريم الشَّغنوبي				
نوع العملية	تاريخ الاستشهاد	البلدة	الحالة الاجتماعيَّة	الرتبة العسكريَّة
استشهاديَّة	1996/3/3م	"برقة" شمال مدينة نابلس	أعزب	جندي

في بلدة "برقة" شمال مدينة نابلس حيث الضِّفَّة الغربيَّة كان ميلاد الاستشهاديِّ القسَّاميِّ البطل رائد عبد الكريم الشَّغنوبي عام 1979م، وسط عائلةٍ كريمة النَّسب ملتزمةٍ بالأخلاق والتَّعاليم الدِّينيَّة، متلقِّياً تعليمه الابتدائي والإعدادي والثَّانوي في مدرسة ذكور برقة الثَّانويَّة، أمَّا تعليمه الدِّينيِّ والحركيِّ والإخوانيِّ، فقد تلقَّاه في مسجد بلدته الكبير.

الشهيد المجاهد/ رائد عبد الكريم الشغنوبي

كان من أبرز المشاركين في الانتفاضة المباركة، التي انطلقت بتاريخ 1987/12/9م ضمن مجموعات حركة حماس المجاهدة، التي كانت تسمَّى بـ "السَّواعد الرَّامية"، وبعد أن أتمَّ دراسته الثَّانويَّة التحق بدار المُعلِّمين بمدينة رام الله، وتعرَّف على الأسير القسَّاميِّ المجاهد "محمَّد أبو وردة"، الذي كُنتُ قد أَنَطْتُ له مهمَّة تجنيد الاستشهاديِّين؛ للرَّدِّ على اغتيال الشَّهيد القائد المهندس يحيى عيَّاش، فعرض عليه محمَّد الأمر فوافق على الفور، وجمع بيننا لقاءٌ وتعارف، توطَّدت خلاله معرفتي به، ومُباشرتنا الإعداد والتَّجهيز للمهمَّة.

وما أن حان الوقت حتَّى ضغط على زرِّ التَّفجير بعد أن هتف بتكبيرةٍ ليزلزل المدينة المُحتلَّة التي رقصت فرحاً بانفجارٍ عنيف دمَّر الحافلة وتطاير حُطامها في دائرةٍ قطرها قرابة الخمسين متراً، ليُعلن المتحدِّث الرَّسمي باسم الشُّرطة العسكريَّة عن مقتل (19) صهيونياً، بينهم (3) جنود، وجرح (10) آخرين، كانت جراح (7) منهم بالغة الخطورة، كما ويُذكر أنَّ قوات الاحتلال سلَّمت جثمانه الطَّاهر بتاريخ 2012/5/31م بعد احتجازه.

4- الفارس المجهول والأسير البطل / محمَّد عطيَّة أبو وردة

ولد مجاهدنا بتاريخ 1976/1/17م في مخيم الفوار قضاء مدينة دورا بمحافظة الخليل، ليعيش طفولته بين أزقَّة المخيَّم، ومتعلِّماً في مدارس الوكالة التَّابعة له، وبعد حصوله على شهادة الثَّانويَّة العامَّة التحق بمعهد المعلِّمين في رام الله عام 1996م، حيث اختار تخصُّص التَّربية، ملتحقاً بعدها بجامعة القدس المفتوحة حيث التَّخصُّص ذاته، قطعت مسيرته هذه اعتقاله من قبل أجهزة السلطة الفلسطينية، إلَّا أنَّ ذلك لم يفتَّ من عزيمته، فتابع دراسته من داخل سجون السُّلطة الفلسطينيَّة حتَّى نال درجة البكالوريوس بجدارة.

الأسير المجاهد / محمد عطية أبو وردة

عُرف المعتقل القسامي محمَّد أبو وردة بشراسته في مقارعة جنود الاحتلال الصُّهيوني، فكان يُشارك في فعاليَّات الانتفاضة منذ أن كان عمره 15 عاماً، وقد اُعتقل لدى الصَّهاينة في ذات العام، ولم يقتصر الأمر عند هذا الاعتقال فحسب، بل تعرَّض مرَّاتٍ عدَّة للاعتقال من قبل أجهزة السُّلطة الفلسطينيَّة،

ففي شهر آذار عام 1996م قاموا باعتقاله بتهمة إحضار الاستشهاديَّين "مجدي أبو وردة وإبراهيم السَّراحنة" ورائد الشَّغنوبي، والذين نفَّذوا العمليَّات الاستشهاديَّة الثَّلاثة، التي أسفرت عن مقتل العشرات من الجنود الصَّهاينة والمستوطنين؛ ردّاً على اغتيال المهندس يحيى عيَّاش.

ولم تتوقف مسيرة التَّضحية عند هذا فقط، فبعد خروجه من سجون السُّلطة أصبح مطارداً لقوات الاحتلال، التي تمكَّنت من اعتقاله بتاريخ 2002/11/4م، بعد محاصرة المكان الذي كان يختبئ بداخله برفقة اثنين من المجاهدين، وهما "نبيل العواودة، ومراد شاهين"، وتمَّ اقتياده إلى سجن عسقلان، ممضياً في التحقيق شهراً كاملاً، وقد وجَّهت له سُلُطات الاحتلال عشرات التُّهم، منها: نشاطه ضمن الكتلة الإسلاميَّة بمعهد رام الله، ورئاسته لمجلس الطَّلبة فيه، ونشاطه في حركة حماس وجناحها العسكري، وتسبُّبه بمقتل (45) صهيونياً، وحيازة أسلحةٍ وتنظيم أشخاصٍ لمصلحة حركة حماس، وقد صدر أخيراً بحقه حكمٌ بالسَّجن لمدة 48 مؤبَّداً.

المبحث الأول

ذكرياتٌ وفصولٌ من الحياة والجهاد

أولاً: قبسات الطُّفولة ورياض المحراب

على أعتاب الصِّبا

كنتُ كأيِّ طفلٍ فلسطينيٍّ عاش معاناة شعبه دون أن يفهم وقتها شيئاً عن المصطلحات الكبيرة، أو حتَّى يكون لديه علمٌ بتفاصيل ما حدث، كنتُ طفلاً يعيش في عائلةٍ فقيرة الحال بمخيَّم "خان يونس" جنوب قطاع غزَّة، أحد المخيَّمات الكثيرة المنتشرة في جميع أنحاء قطاع غزَّة، كلُّ ما كنتُ أعرفه وقتها أنَّ هذا البيت ليس بيتنا الحقيقي، وأنَّ اليهود طردونا من بيتنا وقريتنا، ووصلنا إلى هذا المكان مثل كثيرٍ من أبناء هذا الشَّعب الذي أصابه المُصاب ذاته، هذه هي الأحاديث التي كانت تُروى لنا وكنَّا نسمعها في كلِّ مكانٍ وخاصَّةً في البيت، لتُصبح جزءاً من حياتي وثقافتي، ومع مرور الوقت باتت تُشكِّل إحدى أهمِّ محطَّات حياتي، مستحوذةً على حيِّزٍ كبيرٍ من تفكيري، برغم ما كنَّا نراه في واقعنا من تصرُّفاتٍ همجيَّةٍ لجيش الاحتلال، سواءً اقتحاماتٍ للبيوت، أو تنكيلٍ بالنَّاس أمام عيوننا، أو كلتيهما معاً.

أذكر تلك اللحظات التي كنتُ فيها صغيراً، حيث كان بجانب مخيَّمنا مناطق رمليَّةٍ واسعةٍ، كنَّا نسمِّيها "الأحراش"، نذهب صوبها للعب فيها، أو لصيد العصافير، ومع مرور الوقت أصبحت هذه الأرض تُسرق أمامنا، يحيطونها بالسِّياج الشَّائكة، فنستفسر من أهلنا عن ذلك، فنتلقى الإجابة أنَّ هؤلاء هم (المستوطنون) الذين يقومون بالسَّيطرة على الأرض، ليُصبح ما يهمُّنا وقتها هو أنَّنا سنُحرم من ملاعبنا ومناطق صيدنا، ما ضاعف من الكره والحقد لهذا المحتل، وهنا بدأت تتبلور في داخلي مشاعر قائمة على كره المحتل، إضافةً إلى أن سكَّان تلك المخيَّمات يقبعون تحت معاناة المحتلِّ وظلمه، فجميعهم فقد بيتاً أو أرضاً أو سقط له شهيدٌ أو أكثر، فأحاديث النَّاس في جلساتهم ومنتدياتهم لا تخلو من ذِكْر الاحتلال وما ارتكبه بحقِّهم.

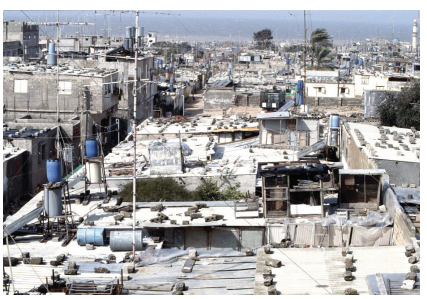

مخيم خانيونس للاجئين

كنتُ طالباً في المدرسة بمستوى متوسِّط، وكان لأخي الكبير دورٌ في اهتمامي بدراستي وقتها؛ بسبب سؤاله عنِّي وحثِّي على الدِّراسة، وتفقُّد حقيبتي يوميَّاً، وكنتُ أكثر إخوتي الصِّغار التزاماً، وكان التَّحوُّل الحقيقي الذي حدث في شخصيَّتي كطفلٍ هو وجود مسجدٍ قريبٍ من بيتنا، وهذا جعلني هدفاً لهؤلاء الشَّباب، أصحاب التَّوجُّه الإسلامي، لذلك وبفضل الله منذ صغري كنتُ في المسجد حتَّى تعلَّقتُ به، وأصبحتُ أحبُّه وأحبُّ المكوث فيه.

حسن الشَّهيد

قصَّةٌ جميلةٌ كان لها الأثر الكبير على حياتي وما زالت، فقد كنتُ من بين الأشبال المُدلَّلين من قبل الشَّباب الكبار، ووفق ما يبدو أنَّهم كانوا على أملٍ أن أكون في المستقبل صاحب شأن.

أمَّا القصَّة "ففي أولى جلسات المسجد، وأثناء جلوسي برفقة مجموعةٍ من الأشبال حول أحد الإخوة البارزين في المسجد، يُعطينا درسًا تربويَّاً، ويروي لنا قصة أحد الشهداء العظام، وبعد الانتهاء من سرد هذه القصة أخبرنا أنَّ هذا الشهيد اسمه "حسن سلامة"، فأدركتُ حينها مقصده، ما جعلني أرتبط بقوةٍ بهذه الشَّخصيَّة، وتولَّد في داخلي حبٌّ كبيرٌ أنْ أصبح مثله.

كان للأخ الشهيد ياسر النمروطي دورٌ كبيرٌ في تربيتي؛ لاهتمامه العميق بي، فكنت أحبُّه بصدق، وأذكر من أجمل ما حدث معه وأنا صغير، حيث كنت جالساً في المسجد وأحد الإخوة يحلق لي شعري، فطلبتُ منه أن يترك شعري من الخلف وألَّا يُقصره، رغبةً أن يكون طويلاً "حسب الموضة"، وإذ بصفعةٍ على رقبتي، فتلفَّتُ خلفي لأجد الأخ الشهيد ياسر النمروطي مصدرها، حيث قدم صوبي دون أن أراه، ليرغمني يومها على تقصير شعري كثيراً.

ولأنَّ عائلتي هي التي دفعتني إلى المسجد وحثِّهم للإخوة على متابعتي، امتد اهتمام الإخوة بي أكثر، حتَّى وصل اهتمامهم لعائلتي، فكانوا يزورون الأهل ويجلسون مع الوالدة، ويسمعون منها، وتشكو لهم أيَّ تقصيرٍ أقوم به؛ لمعاقبتي على ذلك.

أمَّا أصول عائلتي وجميع فروعها، فقد كان جلُّهم من اليساريِّين، سوى بيتنا، فكنَّا بعيدين نوعاً ما، لكن هذا لم يمنع أن يكون لهذه العائلة تأثيرٌ على بيتنا، وخاصَّةً في ذات الفترة التي شهدت مشكلاتٍ بين المجمَّع الإسلاميِّ والشُّيوعيِّين، وكنت وقتها نشيطاً كشبلٍ في المسجد، ومشاركٍ في هذه الأحداث عبر مهمَّات رصدٍ أو توزيع بيانات أو أي أمرٍ يُطلب مني، وهذا جعل أقربائي يضغطون على أهلي؛ لوضع حدٍّ لتحرُّكي، وقد حاول أهلي ذلك، ولكنني هربت مرَّاتٍ عدَّة من المنزل، وقد ساعدني في إنجاح ذلك إخوانٌ لي من المسجد.

عبارةٌ أشعلت جذوتي

هناك مواقف وقصص كثيرة، كان لها تأثيرٌ كبيرٌ في حياتي، ولكنَّ القصَّة التي حازت على التَّأثير الأكبر حدثت تفاصيلها مع الأخ الحبيب "يحيى السِّنوار"، الذي كان معروفاً وقتها على مستوى القطاع، وخاصَّةً مدينة خان يونس، وكنتُ صبيَّاً معجبًا جدّاً بشخصيَّته وتصرُّفاته وقوَّته، رغم أنَّه لم يكن يعرفني أو يكاد وقتها يذكرني، لكنني كنت أعرفه وأذكره وأتمنَّى أن أقف معه.

وقتها وبين أحداث عام 1985م -حسبما أذكر- كان هناك منعٌ (إسرائيلي) لبناء مسجد الإمام الشافعي، فتحدَّى الشُّبَّان القرار (الإسرائيلي)، وفي يومٍ واحدٍ كان الجميع من كلِّ المساجد يعملون في بناء هذا المسجد، في الوقت الذي كنتُ فيه شبلًا عدا أنِّي "شايف حالي قليلاً"؛ لشعوري بحب الجميع لي، وهذا جعلني أنظر لنفسي باستعلاءٍ وقتها.

كان الأخ يحيى السنوار أحد العاملين الأساسيِّين المشاركين في عملية البناء، وكان يقف على أعلى السلم محاولاً تثبيت قطعة خشبٍ في السقف، وقد احتاج من يناوله شيئاً فناداني، حيث كنت الأقرب إليه، وطلب مني قطعة الخشب، فحاولت التململ بقصد المزاح كصغيرٍ معه، وإذ به يصرخ بي طالباً قطعة الخشب، فصعدتُ السُّلَّم؛ كي أعطيه إيَّاها بعدما استفززتُه، فقال لي هذه العبارة التي عشت معها وعاشت معي على مدار حياتي، قال لي: "والله عمرك ما تغنِّمها"،

لذلك عندما اعتُقلت كان أوّل أمرٍ فعلتُه أن سألتُ عن يحيى السِّنوار، وأرسلتُ له رسالةً أذكِّره فيها بهذه الحادثة التي لا يذكرها، وقائلاً له: "أتمنى أن أكون قد غنَّمتها"، لذلك تغيَّرت حياتي كلِّياً بعد هذه العبارة، وأصبحتُ أكثر جدِّيَّة.

ثانياً: انتفاضة الحجارة ومجموعات الصَّاعقة

في غمار الانتفاضة

هذه التَّربية الخاصَّة، وهذا الاهتمام وكأنَّه كان تجهيزاً لنا للمرحلة القادمة، لذلك عندما اشتعلت الانتفاضة الأولى كنت قد بلغتُ من العمر ستَّة عشر عاماً، وأذكر وقتها وقبل دخول الانتفاضة وحادثة المقطورة، كنَّا نحن شباب المساجد قد طُلب منَّا المشاركة في المسيرات والاعتصامات، وكانت لنا مواجهاتٌ مع الجيش في منطقة المدرسة التي كنَّا ندرس فيها "مدرسة الثانوية العامة الحكومية"، والتي تقع بجانب الإدارة المدنية في مدينة خان يونس، كنَّا وقتها طلاب كتلةٍ إسلاميَّةٍ في المدرسة، ولنا اجتماعات وأعمال ودورٌ تأثيري على الطلاب، ننفِّذ كثيراً من الأنشطة، وكان من أعز أصدقائي في ذلك الوقت الأخ فضل السنوار -الشقيق الأصغر للأخ يحيى-، وقتها حدثت أحداثٌ في جامعة بيرزيت، واستشهد فيها شابَّان، الأوَّل من إخواننا في الضِّفَّة الغربية، وأمَّا الثاني فهو أخونا "جهاد أبو سلمية"، أحد الإخوة الملتزمين في مسجدنا "الإمام الشافعي"، وردّاً على ذلك نُشر بلاغٌ لجميع الطُّلَّاب وشباب المساجد بالخروج للمواجهات، وبالفعل كانت المواجهات العنيفة في جميع أنحاء قطاع غزة وخاصة مدينة خان يونس، يومها ذهبت للمدرسة بـ "شبشب بلاستيك"، ولم أكن أمتلك حذاءً من الجلد أو القماش، وعندما بدأت المواجهات وضعتُ "الشبشب" داخل الحقيبة، وانخرطتُ في الأحداث حافي القدمين، لذلك لم ولن أنسى ذلك اليوم.

اندلاع الانتفاضة، خانيونس

اندلاع الانتفاضة، خانيونس

عندما بدأت الانتفاضة طُلب منَّا التَّجمُّع في المساجد، فكنت ضمن من لبُّوا النِّداء، وانعقد اجتماعٌ معنا في مسجد الشافعي وطُلب منَّا القيام بفعاليات من حرق إطارات وتثوير المدارس وقذف الحجارة وهذه كانت بداية الانتفاضة، فقد شاركنا في الانتفاضة منذ بدايتها وبدأ العمل بعد ذلك يأخذ شكلاً منظماً أكثر، خلال هذه المرحلة اُعتقلت أربع مرَّاتٍ حسبما أذكر، كل اعتقالٍ يمتدُّ لستة أشهر إداريًّا، آخرها سنة 1992م.

البداية الجهادية بالصاعقة الإسلامية

مجموعات الردع

وقتها كنت في بداية العمل والارتباط بمجموعات "الصَّاعقة الإسلاميَّة"، التي انتشرت في قطاع غزة، وكانت مهمَّتها ردع العملاء، فقد كانت خلايا مدينة خان يونس من أنجح هذه الخلايا، وكان لنا ارتباطٌ وقتها مع كتائب القسَّام، التي كانت في بداية عملها، حتى أنَّ مجموعاتنا في الصاعقة الإسلاميَّة كانت لها أعمالٌ متقدمةٌ مع الكتائب.

وفي إحدى مرَّات العمل مات بين أيدينا أحد العملاء أثناء قيامنا بردعه؛ فأصبح وضعنا خطيراً، وازداد خطورةً حينما تم اعتقال أحد أفراد هذه المجموعة، والذي يعرفني شخصيا، حيث كنت وقتها قائد مجموعات الصَّاعقة في مدينة خان يونس، لذلك أصبحتُ مطارداً في أواخر عام 1992م.

ثالثاً: المطاردة " رحلة إعدادٍ وجهاد"

شهدت هذه المرحلة نشاطاً فاعلاً لمجموعات كتائب القسَّام، وأصبح هناك عددٌ كبيرٌ من المطاردين، وخاصة في خان يونس، وجميع هؤلاء المطاردين لا يملكون سلاحاً؛ لقلَّته وقلة الأموال، إضافةً للصعوبة الكبيرة في توفير أماكن إيواءٍ لهم؛ ما دعا قادة العمل للتَّفكير في خروج عددٍ من المطاردين؛ لاكتساب مهارات التدريب في الخارج ومحاولة مساعدة الدَّاخل، بإمدادهم بالسلاح ثمَّ العودة بعد ذلك، وكان ذلك بعد عمليَّات الإبعاد الكبيرة التي نفَّذتها دولة الكيان إلى مرج الزهور، تمَّ خلالها إبعاد اثنين من إخوتي، ومن ثَمَّ خرجتُ من قطاع غزة عام 1993م عبر الأردن، بهويةٍ وهمية، مسافراً من هناك إلى السودان، حيث التَّجمُّع الأكبر للمطاردين، فهي الدولة الوحيدة التي كانت تسمح لنا بالبقاء على أراضيها.

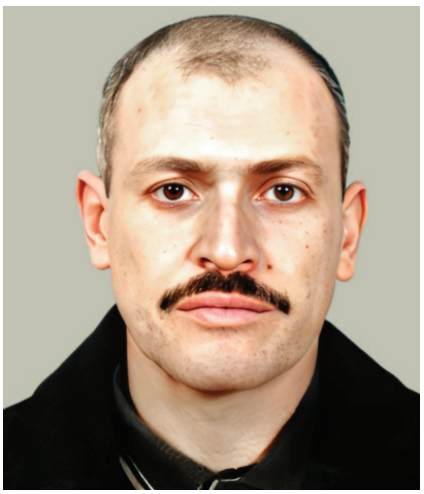

الشهيد المجاهد / عدنان الغول

قضيتُ عامين في مهجري مطارداً، أتنقَّل خلالها بين معاناة البُعد ومرارة الحياة، حتَّى سُنحت لنا فرصة تدريبٍ ممتازةٍ لدى قوَّات أحمد جبريل في سوريا وحزب الله في لبنان، وكانت أهمُّ دورةٍ عسكريَّةٍ قد تلقَّيتُها في إيران، كما والتقيتُ بالشَّهيد القائد عدنان الغول "أبو بلال"، خاصَّةً أنَّه كان له دورٌ كبيرٌ في تدريبي بسوريا وبرفقته المجاهدين "محمَّد نصَّار، ومحمود المبحوح".

التقيتُ بهم جميعاً في سوريا، وكانوا ملاذاً لنا، نرجع إليهم في الكثير من الأمور، وكان "أبو بلال" –رحمه الله– من أوائل العائدين إلى فلسطين، وكان القدر الذي كتب لي الالتقاء به في غزة بعد عودتي، وكذلك العمل معه، حيث كان له دورٌ كبيرٌ في عمليَّات الثَّأر المُقدَّس.

وقد تمكَّنتُ من زيارة المُبعدين في مرج الزهور بلبنان، وخاصَّةً أخواي، وحاولت العودة إلى فلسطين منذ الأشهر الأولى لخروجي، وكذلك باقي المطاردين، إلا أنني لم أتمكن من العودة إلَّا في أواخر عام 1994م، في الوقت الذي كانت فيه السُّلطة الفلسطينية قد استلمت غزَّة وأريحا، فكانت عودتي محاطةٌ بالمخاطر الكبيرة، منها أنني وافقت على العودة كتجربةٍ أولى لإحدى الطُّرق ولم يكن أحد قد سبق وأن سلكها.

عناصر السلطة بجانب قوات الاحتلال، غزة 1994

رابعاً: في رحاب موطني واعتقال أبناء جلدتي

خلال تنقُّلي من دولةٍ لأخرى ووصولي للجمهوريَّة العربية السُّوريَّة، التقيتُ بالشهيد القائد "عز الدِّين الشَّيخ خليل"، الذي اُغتيل هناك عام 2004م، محاولاً الاستقرار؛ نتيجة صعوبة العودة للوطن، وفي اللحظة التي هممتُ فيها بمشروع الزَّواج طلب منِّي القائد عزُّ الدِّين الشيخ خليل العودة، فوافقتُ على الفور، وألغيت جميع مشاريعي، مسافراً عبر رحلةٍ طويلةٍ بجوازاتٍ وهمية، فانطلقتُ بالطّائرة من سوريا صوب مالطا، ومن هناك إلى ليبيا بالباخرة، ومكثتُ على أرضها قُرابة الشَّهر أجهِّز نفسي، وكان يرافقني خلال هذه الرحلة أخي المجاهد عماد عبَّاس.

وما أن تهيأت الظروف، تحركتُ من ليبيا نحو حدودها مع مصر بمساعدة دليلٍ يعرف الطرق، وقد بدأنا رحلتنا مع مغرب ذلك اليوم مشياً على الأقدام، حتى وصلنا منطقة السَّلُّوم المصريَّة وقت صلاة الفجر، ماكثين في مصر عدَّة أيامٍ جهَّزنا فيها أنفسنا، ثم تجاوزنا الحدود مع فلسطين بعد وصولنا منطقة العريش، حيث وعثاء السَّفر، متمكِّنين بحمد الله من تجاوز الحدود عائدين إلى غزَّة.

وما أن وصلنا وإذ بنا نتفاجأ بمداهمة قوات الارتباط التابعة للسلطة الفلسطينية لنا، فاعتُقلنا وخضعنا لجولات التَّحقيق يتساءلون عن أسباب قدومنا وعودتنا إلى فلسطين، لنُزجَّ بعدها في زنازينهم قرابة الستَّة أشهر لم نعرف فيها سبب وجودنا أو ما سيجري لنا، حيث إنَّنا لم نُعرَض على أيِّ محكمة، وكان وجودنا مرهونٌ بطبيعة العلاقة بين حركة حماس والسُّلطة، حتَّى منَّ الله علينا بالخروج من السجن في منتصف عام 1995م، مجرَّدين من سلاحنا وجوازات السَّفر التي كانت بحوزتنا، وناجين من محكمة أمن الدولة التي شكَّلتها السُّلطة الفلسطينيَّة -العتيدة-، والتي عُرضنا عليها، وكان من المفترض أن يُحكم علينا ثلاث سنواتٍ لولا تدخُّل بعض الأشخاص وطرح خطورة انتهاج سياسة الحكم على من يعود إلى فلسطين عبر الحدود المصرية؛ لعدم تمكُّنه من العودة عبر الطرق الرَّسميَّة؛ بسبب ملاحقة القوات (الإسرائيلية) لهم وطلب القبض عليهم لشروعهم في أعمال الجهاد والمقاومة.

الشهيد المجاهد/ عماد عباس

خامساً: التحديات الجهاديَة والملاحقات المزدوجة "واقع غزة عام 1995م"

قوات الارتباط الفلسطينية أواخر 1994م

بعد أن حلَّ فرج الله علينا وخرجنا من سجون السُّلطة، كانت المفاجأة بواقعٍ لم أكن أتوقَّعه، فقد كان قطاع غزَّة سجناً لكلِّ مطاردٍ مطلوبٍ لكيان الاحتلال، فكان من الصَّعب جدّاً التَّحرُّك؛ بسبب الحواجز الصُّهيونية المنتشرة في أرجاء قطاع غزَّة، وكان من الصَّعب لأيِّ مطلوبٍ أن يتنقل من خان يونس إلى غزة والعكس؛ لأنَّ الاحتلال عمل على تقسيم قطاع غزة إلى عدَّة مناطق مفصولةٍ عن بعضها البعض بواسطة (المستوطنات) والحواجز العسكرية، التي تعدُّ مصيدةً للمجاهدين، لذلك كان على من أراد التَّنقُّل من مكانٍ لآخر أن يستقلَّ سيارةً (خصوصي)؛ لكي يستطيع الالتفاف على الحواجز عبر الطُّرقات الفرعيَّة متمكِّناً من المرور والوصول بسلام، وهناك الكثير ممن وقعوا في أيدي قوَّات الاحتلال بسبب تلك الحواجز.

المجاهد في بلاده سجين

بالفعل كان قطاع غزة يُمثِّل لنا سجناً من الصَّعب التَّنقُّل أو التَّحرُّك خلاله، إضافةً إلى عيون السُّلطة التي ما برحت تلاحقنا، فقد كانت تعدُّ علينا أنفاسنا، ولا تتردَّد أو تتأخَّر في القبض علينا لحظة الشَّكِّ أو تقديم تقريرٍ من أحد عيونهم ضدَّ أحد إخواننا حتى وإن كان كيدياً، فكانوا يعتقلونه ويُخضعونه لتحقيقٍ قاسٍ يفقد خلالها المحقِّق إنسانيَّته ووطنيَّته، وبعد انتهاء جولة التحقيق هذه يُلقى به في الزَّنازين أو يُنقل إلى السجن مدَّةً من الزَّمن قد تطول أو تقصر دون أيِّ التزامٍ بجانبٍ قانوني أو إنساني،

فالإفراج عنه مرهونٌ بمزاج من اعتقله، وكثيراً ما حاصرت أجهزة أمن السُّلطة الفلسطينيَّة المطاردين من مجاهدي كتائب القسَّام في بيوتهم أو البيوت التي يأوون إليها، وخاصَّةً جهاز الأمن الوقائي الذين كانت تصل بهم الأمور لإشهار السِّلاح والاشتباك وإطلاق النَّار على المجاهدين، وقد أصيب الكثير من المجاهدين برصاصهم واستشهد آخرون في حوادث معروفةٍ ومشهورةٍ لسنا بصدد الحديث عن تفاصيلها، كلُّ ذلك لأنَّهم مطلوبون لليهود ولا يريدون تسليم أنفسهم لهم.

وفور خروجي من السِّجن بدأتُ أسعى للوصول لمطاردي كتائب القسَّام والتَّواصل معهم، حتَّى أصبحتُ كباقي المطاردين وقتها، وكان قد عاد من الخارج عددٌ من الإخوة، أمثال: "عدنان الغول، وسالم أبو معروف، وعاطف حمدان، وجمال موسى، وبراء الأغا"، وخلال هذه الفترة تعرَّفتُ على الشَّهيد المهندس يحيى عيَّاش، الذي كان موجودًا وقتها في قطاع غزة.

حواجز الاحتلال، قطاع غزة 1995م

من ظُلمة المطاردة سطعت بارقة الإعداد

كنَّا نحن المطاردين مستهدفين من قبل أجهزة السُّلطة، ودائمًا ملاحقين، وكان البحث كبيراً وقتها عن الشَّهيد المهندس يحيى عياش، لذلك كنَّا نعيش واقعاً أقرب إلى الاختباء منه للعمل؛ لعدم وجود أهدافٍ صهيونيَّةٍ في حينها، لذلك كان جهدنا يقوم على تطوير أسلحتنا وابتكار أساليب جديدةٍ للعمل، وكانت عندنا بداية مشاريعٍ هي السَّبب في الطَّفرة الكبيرة التي يعيشها القطاع الآن؛ فقد بدأنا بتصنيع القنابل وبَدأ العمل على تصنيع بعض القذائف، وكنَّا جميعاً نملك من الخبرة الكبيرة، وخاصَّةً أخوينا الشَّهيدين عدنان الغول ويحيى عيَّاش، وكان لنا نحن المطاردين قيادة على رأسها القائد العام "محمَّد الضَّيف"، الذي له الفضل الكبير في تماسك

جهاز الكتائب وبقائه جهازاً فعَّالاً، نجح في تجاوز كل المعوِّقات التي وقفت أمامه، والذي تحسب له السُّلطة حساباً رغم قلة الإمكانات وصعوبة الظُّروف الأمنيَّة والعسكرية.

لقد كنَّا نرفض فتح جبهةٍ مع السُّلطة، وفي ذات الوقت نرفض الاعتقال أو تسليم أسلحتنا، ونتصدَّى لكلِّ عمليات الاعتقال القادمة ضدَّنا؛ لاعتقادنا أنَّ الجهاد ضدَّ الاحتلال واجبٌ وضرورة، ولا نقبل أن تُثنينا جماعةٌ أو سلطةٌ عن هذا الطَّريق.

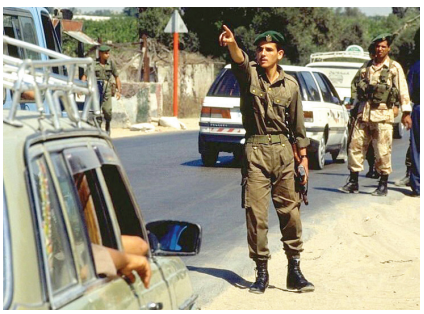

حواجز عناصر أمن السلطة 1995م

ورفضاً للاعتقالات السياسيَّة التي تهدف إلى إرضاء الاحتلال عبر قنوات التنسيق الأمني، رفض العديد من مجاهدي كتائب القسَّام تسليم أنفسهم أو سلاحهم، ما أدَّى لنشوب اشتباكاتٍ بينهم، نتجت في بعضها إصابات لعددٍ من مجاهدي الكتائب.

كانت هذه هي المعادلة مع السُّلطة، وفي بعض الأحيان كانت تغض الطرف عن تواجدنا في بيوتنا بسبب خوفها من مواجهتنا، وعندما تجرؤوا مرَّةً وحاصروا بعض المطاردين وأخذوا سلاحهم، كان ردُّنا الفوري باقتحام بيت مسئول الاستخبارات العسكريَّة وضربه وأخذ سلاحه ردَّاً على ما قاموا به.

الأسير المجاهد / حسن سلامة بعد عودته إلى غزة

لذلك كانت غزَّة فعلاً سجناً حقيقياً بجدارين، الجدار الأوَّل تحيط به القوَّات (الإسرائيلية)، والجدار الثَّاني تُحيط به

الأجهزة الأمنيَّة الفلسطينيَّة، التي لا تتورَّع عن فعل أيِّ شيءٍ في سبيل المحافظة على ما تسمَّى (عمليَّة السَّلام)، وأمَّا من ناحية العمل العسكري، ففي الفترة السَّابقة لبداية مطاردتي في أواخر عام 1992م وخروجي خارج فلسطين وعودتي مرَّةً أخرى وحتَّى اعتقالي لدى السُّلطة وخروجي، كانت جميع الأعمال التي نفَّذناها تحت مسمى كتائب القسَّام هي ردعٌ للعملاء، واشتباكاتٌ متفرِّقةٌ، وزرع عبوَّاتٍ وفق ما كان يتوفَّر لنا، وهكذا كان حال المطاردين المنتشرين في أرجاء قطاع غزَّة.

مواجهات خلال حصار قوات الأمن لمطاردين من كتائب القسام عام 1995م

فقد كان من الصَّعب تنفيذ أيِّ عملٍ جهاديٍّ في غزَّة؛ بسبب الأمور آنفة الذِّكر؛ ولصعوبة الوصول إلى الأهداف (الإسرائيلية)؛ بسبب عمليات التنسيق الأمني بين السلطة الفلسطينية والقوات الإسرائيلية، الأمر الذي كان يسهم في إفشال العديد من العمليات العسكرية ضدَّ الاحتلال، ورغم كلِّ هذه المعوِّقات كانت هناك عمليات تحدث باستمرارٍ وإن كانت صغيرةً ومتفرِّقةً وجلُّها عمليات تفجيرٍ لا يُعلِنُ أحدٌ مسئوليته عنها، وأكثرها عمليَّاتٌ غير ناجحة؛ بسبب الأوضاع التي ذكرتها سابقاً، وكانت الأجهزة الأمنيَّة الفلسطينيَّة تقوم على إثر كلِّ عمليةٍ بحملة اعتقالاتٍ واسعةٍ، وتُحقِّق مع المعتقلين؛ لمعرفة من وراء هذه العمليَّات، وفي أغلب الأحيان كانت لا تتوصَّل إلى منفِّذيها؛ لأنَّها كانت تحدث غالباً بصورةٍ فرديَّةٍ وبطريقةٍ غير منظَّمة.

نعم، هكذا كانت غزَّة، وهكذا كانت السُّلطة، وهذا هو وضع الكتائب في تلك المرحلة.

سادساً: عمليَّة غوش قطيف الاستشهاديَّة

رصد الهدف

شهدت هذه المرحلة أهمّ عمليَّاتها الاستشهاديَّة التي حدثت في مدينة خانيونس على طريق (مستعمرة) غوش قطيف بتاريخ 1995/6/25م، حيث كانت هذه العملية عبارة عن رسالة تصميمٍ من قِبَل كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام على مواصلة العمليَّات الجهاديَّة مهما كانت الأسباب والظروف الموجودة، ومهما كلَّف الأمر، فقد وصلني تكليفٌ من القائد محمَّد الضَّيف بالتَّخطيط الكامل لهذه العمليَّة، واختيار المكان المناسب، حيث تمَّ اختيار منطقة المواصي على بحر خان يونس؛ بسبب وجود أهدافٍ صهيونيَّةٍ حيويَّة؛ ولأن هذه المنطقة لا تخضع للسَّيطرة الفلسطينيَّة، فقمتُ بتجنيد أشخاصٍ لمراقبة هذه المنطقة ورصد الأهداف العسكريَّة فيها، وبالفعل تمَّ تحديد هدفٍ معيَّنٍ في تلك المنطقة، وكان عبارة عن "باصٍ يحمل جنوداً صهاينةً في طريقهم للخدمة العسكريَّة" في هذه المنطقة، وتمَّ تحديد الوقت المناسب بعد معرفة اليوم الذي يأتي فيه هذا الباص.

إعدادٌ وتجهيز

بدأت المرحلة الثَّانية من الإعداد عبرإدخال كمِّيَّاتٍ كبيرةٍ من المتفجرات؛ لتخزينها في منطقة المواصي بغرض استعمالها في هذه العملية وعمليَّات أخرى مستقبليَّة؛ وخوفاً من عدم تمكُّننا من إدخال أيِّ كمِّيَّاتٍ أخرى بعد تنفيذ العمليَّة الأولى؛ لأنَّه بالطَّبع ستُتَّخذ إجراءاتٌ أمنيَّةٌ مشدَّدةٌ بعد تنفيذ هذه العمليَّة، سواءً نجحت أو فشلت، ولا ننسى أنَّ إدخال مثل هذه الأشياء ليس بالأمر السَّهل، فهذه منطقة (مستوطنات)، ولابدَّ من المرور عبرحاجزٍ للجيش (الإسرائيلي)، والذي بدوره يقوم بعمليَّة التَّفتيش والتَّدقيق للمارِّين ذهاباً وإياباً، وبالفعل أدخلنا الكمِّيَّات المطلوبة من المتفجِّرات تم تخزينها في أحد الأماكن لحين استخدامها؛ ليتم بعد ذلك الإعداد والتَّخطيط لمرحلة التَّنفيذ.

استشهاديٌ يتأهَّب

وقع الاختيار على منفِّذ العملية، ليكون الشَّهيد المجاهد "معاوية روقة" بطل هذه الجولة، الذي كانت له قصَّةٌ عجيبة، فقد كانت علاقتي به مميَّزة جداً، كان الشَّهيد معاوية من المجاهدين الحريصين على الشَّهادة، وكنتُ أعرفه منذ زمن، حيث أنَّ أخوه "أيمن" كان أحد أفراد مجموعتي في الصَّاعقة، والآن هو مطاردٌ وقد خرج إلى خارج فلسطين، ولكثرة تردُّدي على بيتهم نشأت علاقةٌ مع الشَّهيد معاوية، فكان شابّاً مُحبّاً للعمل، ومشاركاً في جميع المواجهات، بل كان دائماً في الصفوف الأولى، يملك جرأةً نادرةً، وقد أصيب مرَّاتٍ عديدة، ثمَّ بعد عودتي من الخارج وبَدء العمل من جديد، كانت أعمالنا نحن المطاردون قليلة، تقتصر على الاشتباكات مع دوريَّات جيش الاحتلال من وقتٍ لآخر وزرع عبوات، ومع تفكيرنا في تنفيذ تلك العمليَّة الاستشهاديَّة كان معاوية من أوائل الأسماء المُسجَّلة، بل كان باستمرارٍ يسأل ويبحث عن العمل العسكري، وكان أبو خالد الضَّيف يرفض ذلك؛ بسبب وضع بيتهم ووجود أخٍ مطاردٍ له، لكنَّ كلَّ هذه الأمور لم تنجح في إقناعه، لذلك كلَّفني القائد محمَّد الضَّيف "أبو خالد" بالحديث معه ومحاولة إقناعه، فحاولت بكلِ جهدي ولكنَّه كان مُصرّاً، بل وهدد بتنفيذ أعمال فردية، لذلك تمَّت الموافقة على تكليفه بتنفيذ عمليَّة، وطلبتُ منه الانتظار حتَّى نُجهِّز الأمر له، وبالفعل اُختير لتلك العمليَّة، وكان هذا الشَّهيد من الشُّهداء الذين يملكون جرأةً وقوَّةً وتصميماً وحبّاً كبيراً للعمل.

لحظة التَّنفيذ

مع الانتهاء من مراحل الإعداد والتَّخطيط حدَّدنا موعد التَّنفيذ وتم معاينة ساحة النِّزال مراراً وتكراراً، خاصَّةً من قبل الاستشهادي "معاوية" الذي سيُنفِّذ العمليَّة، وبعد الحصول على الضوء الأخضر والموافقة من القائد العام محمَّد الضَّيف بعد اطِّلاعه على حيثيَّات الخطَّة، انطلق مجاهدنا لتنفيذ المهمَّة، وتمكَّن من قطع الحاجز (الإسرائيلي) مستقلّاً عربةً يجرُّها حمار، ومن ثَمَّ تسلَّم حقيبة المتفجِّرات التي جُهِّزت من قبل.

الشهيد المجاهد / معاوية روقة

وانطلق تُجاه الهدف المحدَّد غير أنَّ دوريةً صهيونيَّةً سبقت وصوله للهدف، ما جعل الشَّهيد يُقدم على تفجير نفسه وسط هذه الدَّوريَّة المكوَّنة من عربتي (جيب كانتا)، تسيران على الطريق، وقد أسفرت هذه العمليَّة عن إصابة عددٍ من الجنود وارتقاء المجاهد معاوية روقة شهيداً إلى ربِّه ونحسبه كذلك.

وعلى إثر هذه العمليَّة البطولية شنَّت قوات السُّلطة الفلسطينيَّة عمليَّات اعتقالٍ واسعةٍ جدّاً، مارست خلالها مع المعتقلين كالمعتاد عمليَّات تحقيقٍ مخزيةٍ وبشعة، كما وضيَّقت الخناق أشدَّ من ذي قبل حتَّى أصبح من غير الممكن التَّحرُّك والظُّهور لأيِّ مطارد، كما واشتدَّ البحث والتَّفتيش عن الشَّهيد المهندس يحيى عيَّاش والقائد المجاهد محمَّد الضَّيف، ووُزِّعت صورهم على الحواجز، وداهمت السُّلطة جميع من يُشتبه بعلاقته بهما، أو الأماكن التي تشكُّ بوجودهما فيها ليلاً أو نهاراً.

سابعاً: عهدٌ ووفاء

أنا والمهندس

بدأت علاقتي بالمهندس "أبو البراء" يحيى عيَّاش عام 1995م عندما تعرَّفتُ عليه لأوَّل مرَّةٍ في اجتماعٍ ضمَّ جميع المطاردين، في أحد بيوت مدينة غزَّة، حيث كان شخصاً هادئاً، له شخصيَّةٌ مميَّزة، تختلف قليلاً عن أهل غزَّة، لكنَّني عرفته فوراً أنا وباقي المطاردين فور بَدئه بالحديث؛ بسبب لهجته المختلفة.

كان يُلقِّب نفسه بـ "أبو أحمد"، وهو شخصٌ شكلُه لا يوحي أنَّه المهندس، كانت خبرته كبيرة جدّاً بحكم دراسته وتخصصه في هندسة الكهرباء، رغم أنَّنا كنَّا نمتلك خبرةً كبيرةً، ولكنَّه كان يمتلك خبرةً أكبر في العمل.

حملة الاعتقالات، غزة، 1995

تعرَفتُ عليه وقتها كثيراً، وتحدَّثنا عن العمل وسمع منَّا كثيراً من القصص، وتعرَّف على الأمور التي تدرَّبنا عليها، كان وجوده أغلب الوقت في غزَّة، ولكن عند حضوره إلى خان يونس كنتُ أستقبله عندي في البيت أو في المكان المتَّفق عليه؛ حتَّى يتم إيصاله للقائد "أبو خالد"، وأذكر في إحدى المرَّات التي مكث فيها عندنا في البيت وكان معه القائد عدنان الغول، قدَّمت لنا الوالدة الشَّاي وسلَّمت عليهما دون أن تعرفهما، وبعد استشهاده تعرَّفت الوالدة على صورته الحقيقية عندما نُشرت، وما زلتُ أذكر المبلغ الذي قدَّمه لي هديةً لزواجي بينما أنا مطارد، وهو مبلغ عشرين ديناراً أردنياً، طلبتُ من الوالدة الاحتفاظ بها وقتها للذِّكرى.

في إحدى المرَّات ذهبنا نحن مجموعة المطاردين في رحلةٍ إلى البحر، ونزل الجميع إلى البحر يسبح عدا "أبو البراء" الذي رفض السِّباحة، فبقيتُ معه نتمشَّى على شاطئ البحر ونتحدث في أمور العمل، وقتها ازدادت علاقتي به عندما بدأ التَّفكير بالعودة إلى الضِّفَّة؛ لعدم وجود عملٍ في غزَّة، وكنتُ قد قرَّرت الذهاب معه، رغم أنَّني تزوَّجتُ حديثاً، وإلى جانب خبرتي التَّفجيريَّة تعلَّمت منه بعض الأساليب في التَّفجير الالكتروني.

لقد جمعتني به لقاءاتٌ متعدِّدة، وكنَّا نتبادل أطراف الحديث في كثيرٍ من الموضوعات المختلفة التي تهمُّ حياة المطارد وما تتخلَّلها من أحداث، وكان ابنه براء عندما يكون معه نلاعبه في محاولة منَّا التَّخفيف عنه؛ فهو نجلٌ لمطارد.

إن الطَّريقة التي خرجتُ فيها إلى الضِّفَّة كانت من ترتيب المهندس يحيى عيَّاش وتخطيطه، في سبيل العودة إلى الضِّفَّة، ولكن حال دون تنفيذ ذلك استشهاده بتاريخ 1996/1/5، فأكملنا نحن الطَّريق من بعده، أمَّا عن لحظة استشهاده فقد كانت من أصعب اللحظات التي عشناها نحن المطاردون، ولم نكن نصدِّق ما حدث، فقد كانت فاجعةً بمعنى الكلمة، كان بيننا قبل لحظات، وفجأةً حدث ما حدث، فأحضرنا جثمانه من مكان استشهاده ووضعناه في إحدى البيوت في غزَّة، وجلسنا حوله نحن جميع المطاردين غير مصدِّقين ما حدث، والجميع بكى وسالت الدُّموع، لا أعرف هل هي حزناً أم قهراً.

الشهيد المجاهد / يحيى عياش

ما أذكره أنَّه كان موقفاً رهيباً بكى فيه الجميع، وكانت جنازته شيئاً خيالياً يفوق التَّصوُّر، فقد خرجت جماهيرُ زاحفةٌ من مختلف مناطق قطاع غزَّة لتشييعه .

قبساتٌ جهاديَّةٌ برفقة القائد العام محمَّد الضَّيف

كانت علاقتي بالأخ الحبيب أبو خالد "محمَّد الضَّيف" قديمةً منذ عملي في الإطار الطُّلَّابيِّ في المدرسة الثَّانويَّة، فقد كان وقتها طالباً في الجامعة الإسلاميَّة وأحد أعضاء مجلس الطُّلَّاب، المكلَّف بمتابعة نشاط الطُّلَّاب في مدينة خان يونس، لذلك كان يجتمع بنا مرَّات عديدة، إضافةً إلى أنَّه من نفس مدينتي، حيث كانت خان يونس رائدةً في نشاط المساجد، فزادت معرفتي به من خلال هذه النَّشاطات التي كانت تُقام في المساجد، وازدادت المعرفة أكثر عندما بدأت الانتفاضة الأولى، وكنا شباب مساجدٍ نشارك في جميع المواجهات وفي كلِّ المناطق.

أمَّا عن بداية العمل العسكري، وعندما كنتُ أعمل في الصَّاعقة، ففي البداية لم يكن بيني وبينه علاقة؛ بسبب توزيع العمل على المناطق، وهو من نفس المدينة "خان يونس"، لكن في منطقةٍ قريبةٍ من وسط المدينة، لذلك في بداية العمل العسكري لم تكن بيننا علاقة، وبدأت العلاقة مع الأخ أبو خالد عندما عُدتُ من الخارج، وكان وقتها مسئول جهاز المطاردين على مستوى قطاع غزة، لذلك عشنا في هذه المدَّة مع بعضنا، توليت خلالها مهمَّة تنقُّلاته داخل مدينة خان يونس، أي كنتُ على علاقةٍ مباشرةٍ به في إتمام أيِّ عمل، كانت لنا في خان يونس بيوتٌ خاصَّةٌ موجودون بها، ونباشر العمل منها.

في كثيرٍ من الأحيان كنتُ أحظى أن أكون مبعوثه إلى جميع مناطق القطاع، سواءً لإحضار أشياء تخصُّ العمل أو للاتِّصال مع باقي المطاردين على مستوى قطاع غزَّة وخاصَّةً للتَّواصل مع المهندسين "يحيى عياش وعدنان الغول"، كان كثير المكوث في بيتنا، حتَّى أنَّ جميع الأهل يعرفونه وخاصَّةً الوالدة، وكنت أعتبر نفسي من المقرَّبين جدّاً إليه، وخاصَّةً في العمل الخاص الذي لا يُريد أن يطَّلع عليه أحد، حتَّى على مستوى البيوت كانت لنا بيوت خاصَّة لا يعرفها حتَّى المطاردين أنفسهم ويتم فيها لقاءات مع مجاهدين لا يعرفهم أحد من أجل تنفيذ كثيرٍ من الأعمال.

كان أبو خالد من الشَّخصيَّات المُخلصة جدّاً الذين تعرَّفتُ عليهم، حيث يعود له الفضل الكبير في المحافظة على جهاز الكتائب وخاصَّةً في فترة السُّلطة ومحاولاتهم قمع وإنهاء هذا الجهاز، حيث موقفه الحاسم الذي أصرَّ عليه عام 1995م ورفْضِه لجميع المشاريع المطروحة من أجل تسليم السِّلاح وانخراطنا في أجهزة السُّلطة، فهو الذي حافظ على هذا الجهاز وأبقاه قويّاً، وله يعود الفضل بعد الله تعالى ومعه كثيرٌ من المطاردين أمثال المهندس العياش وأبو بلال الغول في كلِّ ما وصلت له كتائب القسَّام من قوَّةٍ الآن؛ لأنَّ جميع هذه المشاريع كانت بدايتها من تلك الأيام التي عشنا فيها أصعب الظُّروف، ومع ذلك كنَّا نعمل ليلاً ونهاراً من أجل تطوير العمل برغم إمكاناتنا البسيطة.

المبحث الثَّاني

غزَّة حتَّى استشهاد المهندس

أولاً: المطاردون، واقعٌ وتحدِّيات

كان مجيء السلطة يعدُّ منعطفاً سياسيَّاً خطيراً، أدَّى إلى جدلٍ عاصفٍ داخل القوى السياسية والعسكرية، ومن ضمنها كتائب الشهيد عز الدين القسَّام، وكان السؤال الأكثر تداولاً "ماذا نفعل غداً؟، هل نقاوم الاحتلال في ظلِّ السلطة أم نساير السلطة ضمن مخططها في احتواء المقاومة؟، هل ظروف العمل العسكري ستكون متاحةً أم أن وجود السلطة سيكون عائقاً؟

أمام هذه الأسئلة اختلف الرُّفقاء، فمنهم من اختار الاصطفاف مع السلطة، لكن حركة حماس كان خيارها أن المقاومة مستمرة طالما الاحتلال موجود، وأنَّ خيارنا هو خيار المقاومة.

كان الوضع الذي يعيشه المطاردون من حصارٍ وتضييقٍ وقلَّة إمكاناتٍ جزءٌ من الضُّغوطات عليهم، ولكنَّ إصرار المجاهدين خصوصًا القائد العام محمَّد الضَّيف والمهندس يحيى عياش وغيرهم من القادة على استمرار المقاومة رسَّخ هذا المفهوم، ورفضوا التعاون مع سلطة التَّنسيق الأمني، رغم الصعوبات والضُّغوطات إلَّا أنَّهم حدَّدوا بوصلتهم نحن تحرير فلسطين طالما الاحتلال جاثمٌ على أرضنا.

وكان عدد المطاردين في غزَّة ليس كبيراً، إلى أن عاد العديد من المجاهدين ممن خرجوا إلى الخارج بعد الانتفاضة الأولى، وقد كنتُ واحداً منهم، وقد شكَّل هؤلاء تكتُّلاً كبيراً دعم المطاردين الذين كانوا في قطاع غزَّة، فالجميع عاد من الخارج وهو مصمِّمٌ على مواصلة العمل، ولكنَّ الكلَّ تفاجأ بوضع القطاع ومشكلاته، بفعل السُّلطة وتصرُّفاتها.

كلُّ هذه الأمور كانت بمثابة صدمةٍ كبيرةٍ لهؤلاء الشَّباب، وقد حاولوا بقدر استطاعتهم فعل شيء، ولكنَّ الظُّروف كانت أكبر من أن نمارس أيَّ نشاط.

ضبط البوصلة

عُقدت عدَّة مناقشاتٍ بين المطاردين حول بقائهم مطاردين في ظلِّ السُّلطة دون القيام بعملٍ عسكري، خاصَّةً وأنَّ العمل أصبح صعباً في قطاع غزَّة، وقد تزامن هذا الواقع مع محاولة السُّلطة تصفية المشروع الجهاديِّ وإنهاء ظاهرة المطاردين، فبدأت بسياسةٍ عُرفت بـ "احتواء المطاردين"، وفي سبيل الوصول لذلك استباحت كلَّ محظور، فداهمت واعتقلت وبطشت فأوجعت، ثمَّ عَرَضت المُغريات، وزرعت الفتن، وحاولت شرخ الصَّفِّ الجهادي، غيرأنَّ محاولاتها كانت بائسة.

رغم كلِّ تلك الاعتداءات والانتهاكات والظُّلم والملاحقات إلَّا أنَّ موقف الحركة ظلَّ إغماد السَّيف وعدم إشهاره في وجه أبناء جلدتنا، وعندما ارتجلتْ زُمرةٌ من المطاردين؛ للتَّصدِّي للممارسات السلطة بتنسيقها الأمني مع قوات الاحتلال ثارت ثورة الحركة، وضغطت على المطاردين بإبقاء سلاح المقاومة مشرعاً في وجه الاحتلال الصهيوني فقط. وظلَّت الحركة ماضيةً في مشروعها الجهادي، تُقاسي مرارة السُّلطة وسطوة الاحتلال، تكظم غيظها، وتمنع خلْق أيِّ صدامٍ أو مواجهةٍ مع السُّلطة.

ثانياً: المُهندس يُقرِّر العودة للضِّفَّة الفلسطينيَّة

في ظِلِّ هذه الأجواء المسمومة، كان الشَّهيد المهندس يحيى عيَّاش يعيش بين غمار هذه الظُّروف والتَّخطيط للعودة للضِّفَّة الفلسطينيَّة، حيث كانت للمهندس حياةٌ خاصَّةٌ في كلِّ شيء، ولكنَّه كان من ضمن المطاردين الموجودين في القطاع، يتأثَّر بما يدور من حوله؛ لأنَّه كان من ضمن المسئولين الذين يملكون القرار والمطَّلعين على كلِّ الأمور، حتَّى ولو أنَّه لم يشارك في جلسات النِّقاش؛ نظراً لوضعه الخاص، وكان يتميَّز بالهدوء التام ولا يكثر الكلام، قليل الضَّحك، شغوفاً بالعمل وتطوير أساليبه.

آمنٌ في سربه

الشهيد المجاهد / يحيى عياش

وجد المهندس نفسه بين عوائل بدَّدت الشَّيء الكثير من صبابة بُعده عن أهله، ففتحوا له الأبواب بكلِّ حبٍّ وتقديرٍ ووفاء، وكانوا يقتسمون مع المهندس عيَّاش قوت أولادهم مع قلَّة إمكاناتهم، بل وانعدامها، ومع علمهم أنَّهم مُهدَّدون ومُعرَّضون للمداهمات والاعتقالات، لكنَّهم حافظوا على الشَّهيد أكثر من أنفسهم وأولادهم، إضافةً إلى كلِّ ذلك محاصرة السُّلطة الشَّديدة، ونشر صوره على كلِّ الحواجز، وتكليف قوَّاتٍ خاصَّةٍ من الجانبين بالبحث عنه بضَّغط من اليهود، ومع ذلك صمد ولم يعتزل، ولم تلِن عزيمته، بل كانت أقوى من الصَّخر، وهو الإنسان الرَّقيق، الذي رفض كلَّ عروض التَّراجع ومحاولات طمس الهويَّة الجهاديَّة.

العيَّاش يكسر الصَّمت ويُعلي الصَّوت

لم يرُق للعيَّاش التَّسليم بالحياة الصَّامتة في ظل ممارسات السُّلطة والتنسيق الأمني مع الاحتلال فقرر الخروج عن هذا النص وتحدي الواقع المأزوم، وتحويله إلى نقطة انطلاق للعمل الجهادي من أرض الضِّفَّة الفلسطينيَّة، حيث كان للمجاهد عبد النَّاصر عيسى شرف إشعال فتيلها عام 1995م، بعد أن أرسله المهندس لشمال الضِّفَّة بعد إعدادٍ وتدريب في قطاع غزَّة، وألقى عليه مهمَّة قيادة العمليَّات هناك، وبعدها اشتدَّ الحصار من قِبَل السُّلطة إلى أقصى حدٍّ على الجميع، وبدأت الاعتقالات والتَّحقيقات، وازداد البحث عن المهندس من الجهات الأمنيَّة، واشتدَّ التَّضييق والخناق على المهندس.

غزَّة بوَّابة العيَّاش للجنَّة

الأسير المجاهد/ عبد الناصر عيسى

بدأ الشَّهيد في التَّفكير بالعودة إلى الضِّفَّة، حيث موطنه الذي تركه منذ أكثر من عام، من أجل مواصلة الجهاد، وهذا ما اهتدى وتوصَّل إليه بعد التَّنسيق مع القائد المجاهد "محمَّد الضَّيف" وقيادة القسَّام، التي لم تبخل عليه بأيِّ شيء، وبدأ المهندس يُخطِّط للعودة، ولكنَّ الأمر في هذه الظُّروف كان صعباً للغاية؛ لأنَّه لا يستطيع المرور عبر الحواجز، ولو غيَّر شكله وأخفى هويَّته؛ بسبب التَّشديد الأمنيِّ على المعابر والبحث المتواصل عنه، حتَّى أنَّ هناك شباباً كُثُر تعرَّضوا للاعتقال لمجرَّد الاشتباه بهم أنَّهم يحيى عيَّاش، فقد كان عبوره على الحواجز صعباً جدّاً، وكانت الطَّريقة الوحيدة المتبقِّية، والتي نسبة نجاحها لا تزيد عن 1% هي التَّسلُّل عبر الحدود الفاصلة بين غزَّة والضِّفَّة، بالرغم من أنَّ هذه الحدود عليها من الإجراءات الأمنيَّة الشَّيء الكثير، الذي يجعل من المستحيل الدُّخول من خلالها، إلَّا أنَّه عاين كلَّ شيءٍ بنفسه، مراقباً لأسابيع تخلَّلها السَّهر الطَّويل والنَّوم في العراء بجانب السِّلك الفاصل؛ لمراقبة كلِّ التَّحرُّكات وإيجاد الخطَّة المناسبة، وأخيراً استطاع أن يجد الحلَّ المناسب، والذي استخدمناه نحن من بعده للعبور لتنفيذ العمليَّات بعد استشهاده، وبعد تجهيز كلِّ الأمور والاستعداد للخروج إلى الضِّفَّة، وقبل الموعد بيومين، تفاجأ الجميع بل العالم بنبأ استشهاد المهندس، ونزل الخبر علينا كالصَّاعقة، حتَّى -ومُقسماً بالله- أنَّنا نحن المطاردين بقينا فترةً طويلةً لا نُصدِّق ما حدث، لكنَّه قدر الله الذي أجلَّ كتابه لهذا اليوم المشهود.

العمليات التي أشرف عليها القائد عبد النَّاصر عيسى				
نوع العملية	موعد العملية	موقع العملية	المنفذون	نتائج العملية
استشهاديَّة "الحافلة رقم 20"	1995/7/24م	ضاحية بني براك القريبة من تل أبيب	الاستشهادي لبيب أنور عازم	مقتل (6) صهاينة وإصابة (50) آخرون.
استشهاديَّة	1995/8/21م	حي رامات أشكول بالقدس المحتلة	الاستشهادي سفيان سالم جبَّارين	مقتل (9) صهاينة وإصابة أكثر من (107) آخرون.

ثالثاً: وقع الاستشهاد على رفقة الجهاد

صِدقاً كانت تلك اللحظات رهيبةً عصيبةً جدّاً، بل هي من أصعب اللحظات التي مرَّت علينا وعلى الجميع، حيث إنَّنا لم نصدِّق ما حدث، وكأننا فقدنا الوعي لا ندري ماذا حدث، ولا نعلم كيف حدث، ولا يُصدِّق أحدٌ منَّا ما حدث.

هي لحظاتٌ لا أستطيع أن أعبِّر عنها، وكفى دليلاً على ذلك أنَّ جميع أهل القطاع خرجوا في مسيرةٍ لم يشهد لها القطاع مثيلاً من قبل، فالجميع يريد أن يرى جثمان الشَّهيد الأسطورة، فبمجرد انتشار الخبر فزع الجميع وخرجوا في الشَّوارع؛ ليتأكَّدوا من صحَّة الخبر، والكلُّ يتَّجه مذهولاً لرؤية الرَّجل الذي أشعرهم بعزَّتهم، وأعاد لهم جزءاً من كرامتهم التي داسها الاحتلال.

اتَّصل بي أحد الإخوة المطاردين صباحاً؛ كي يُخبرني بالخبر، ولكنَّني لم أكن موجوداً في البيت، وعلمت بعد ذلك بساعات، فتوجَّهتُ فوراً حيث جثمان الشَّهيد المهندس، ودخلتُ البيت وأنا لا أصدِّق، وإذ بجثمان الشَّهيد موضوعٌ داخل سيَّارةٍ، وفي الدَّاخل جميع المطاردين يجلسون على الأرض من شدَّة الإعياء والتَّعب وصدمة الخبر، وكل واحدٍ يلبس لباس الحرب، فالكل يحمل سلاحه، ولكن لا صوت، وكأنَّ على رُؤوسنا الطَّير، الكلُّ يسبح في ذكرياته الخاصَّة مع الشَّهيد، فعلاً كان يوماً

عصيباً، ولكن كان لابدَّ من تماسك الأعصاب، والتَّغلُّب على جميع المشاعر؛ من أجل إجراء مراسم الدَّفن ومواراة الشَّهيد الثَّرى، فهذا من أجل الجميع، ومن أجل أبناء الحركة وكلِّ من عشق الشَّهيد، فالجميع كان ينتظر أن يرى المطاردين؛ لأنَّ كل الموقف في أيديهم وعليهم وحدهم يتوقَّف الأمر.

في طريقه إلى قدره

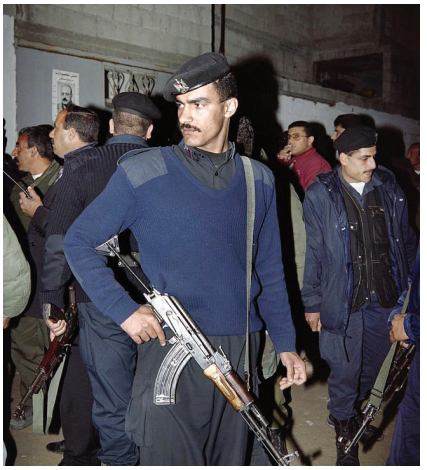

مكان استشهاد المهندس يحيى عياش، بيت لاهيا

المعروف أنَّ حياة المجاهد عبارةٌ عن سلسلةِ مغامراتٍ يسلكها بعد أخْذ جميع الاحتياطات اللازمة، ومستعيناً بالله قبل كلِّ شيء، وهذا ما توصَّل إليه المهندس، فحدَّد المكان الفاصل بين القطاع والكيان بعد تجهيزه الأشياء التي تساعده على اختراق السِّلك الفاصل والوصول بسلامٍ كما هو مخطَّطٌ له، ولكنَّ قدر الله هو الغالب، ففي ليلة الاستشهاد كان المهندس يسهر طوال الليل، يُراقب الحدود والمكان الذي سيخرج منه، ويراقب تحرُّكات الجيش والدَّوريَّات الصُّهيونيَّة، وكان هذا نهجه دوماً منذ أنْ فكَّر في الخروج من قطاع غزَّة إلى الضِّفَّة الغربيَّة، ومكث ساهراً إلى موعد الفجر، ليعود أدراجه بعدها حيث مأواه، وبعد الصَّلاة كان له موعدٌ في شمال غزَّة، حيث البيت الذي اُستشهد فيه أثناء انتظاره مكالمةً من أبيه من الضِّفَّة، وفي نفس اليوم أخبره المطاردون الذين كانوا معه ونصحوه بعدم الذَّهاب؛ لأنَّهم غير مرتاحين للمكان، ولكنَّه أصرَّ على الذَّهاب ورفض أن يصحبه أحد، وذهب إلى حيث قدره الذي ينتظره، ثمَّ سمعنا بعد وقتٍ من خروجه نبأ استشهاده.

نبأ الشَّهادة ومواراة الثرى

جنازة الشهيد المجاهد / يحيى عياش

بعد استلام جثمانه الطَّاهر ومشاهدة ما حدث له ونقله من مكان استشهاده إلى مكانٍ آخر، ولا زال الخبر غير معلن، حتَّى جاء القرار بنشره، وتوجَّه عددٌ من المطاردين يرأسهم الأخ عبد الفتَّاح السَّطري إلى قيادة السُّلطة؛ بغرض إخبارهم بما حدث، وأخذ الموافقة ببَدء مراسم الدَّفن، فتعاونت قيادة السُّلطة معنا في ذلك، ليُنشر الخبر ويعمَّ أرجاء المعمورة التي عمّرَها العيَّاش بجهاده، وهُيِّأت مراسم الدَّفن بعد وصول أهله من الضِّفَّة، وخرجت غزَّة بأكملها تودِّع فارسها المغوار، وعاد المطاردون بأحزانهم وجراحهم التي كانت أكبر من التَّصوُّر، وكلُّها كانت نابعةً من شدَّة الحدث وعدم إمكانيَّة تصديقه، وكان الجميع يتحدث عن ضرورة الثَّأر لدماء المهندس، وليس شيئاً آخر سوى الثَّأر مهما كانت الظُّروف والتَّضحيات؛ لأن الضَّربة كانت قويَّة، وكادت أن تشلَّ الجميع دون استثناء، خاصَّةً المطاردين الذين عاشوا مع الشَّهيد وكان استشهاده فاجعةً لهم، وخاصَّةً أنَّ أحداً لم يُقصِّر في حقِّه، وقدَّمنا له كلَّ ما نستطيع وما نملك من إمكانات، فحُقَّ لكتائب القسَّام أنْ تثأر لفارسها المهندس المقدام المُسجَّى بدمائه، التي ستُلاحق الكيان في كلِّ مكان، تتخطف رؤوسهم وتزلزل حصونهم.

رابعاً: نواة الإعداد للثَّأر

كتائب القسام تتوعد بالرد، أثناء جنازة يحيى عياش

من فضل الله عليَّ أنَّني كنتُ من الذين عاشوا مع الأخ المجاهد محمَّد الضَّيف في تلك المدَّة، الذي كان له وضعٌ خاصٌّ ومغايرٌ عن الآخرين من حيث عدم المشاركة في مراسم الدَّفن، فوضعه لم يسمح له بالظُّهور والمشاركة، لذلك كانت فُرصتي للجلوس معه، حتَّى أنَّه لم يسمح لي بالمشاركة في مراسم الدَّفن، فخرج الجميع للمشاركة ولم يبقَ إلَّا محمَّد الضَّيف في خان يونس، وفضَّلتُ البقاء معه برفقة أحد المطاردين؛ خوفاً من حدوث أيِّ شيءٍ سيِّءٍ -لا سمح الله-، وقد كنتُ أوَّل من تكلَّم مع القائد الضَّيف، طالباً منه أنْ أكون من الذين سيُنفِّذون عمليَّة الثَّأر، وقد طلبتُ منه ذلك بإلحاحٍ إلَّا أنَّه رفض ذلك، ورفض أنْ أكون من الاستشهاديين، وألزمني بما قال "لابدَّ أنْ يكون هناك ردٌّ يساوي حجم الذي حدث، ويكون درساً للمُعتدين يجعلهم يُفكِّرون كثيراً قبل الإقدام على مثل هذه الفِعلة مرَّةً أخرى"، وعرض عليَّ الخروج إلى الضِّفَّة الغربيَّة؛ لكي أكون مسئولاً عن العمليَّات، لا أنْ أكون أحد الاستشهاديِّين، فوافقتُ خاصَّةً أنَّني كنتُ من الذين يُطالبون بالخروج إلى الضِّفَّة؛ لمواصلة العمل، وكنتُ من الذين سيخرجون مع الشَّهيد يحيى عيَّاش لو قُدِّر لنا ذلك.

كان من بين أهمِّ القائمين على عمليَّات الإعداد والتَّخطيط للثَّار هم القادة المجاهدين: "محمَّد الضَّيف، وعدنان الغول، ومحمَّد السِّنوار"، إضافةً إلى بعض الإخوة المساعدين، ولكنَّ هذه العمليَّات كانت من الصَّعب تنفيذها في تلك الظروف، خاصَّةً أنَّ النَّاحية المادِّيَّة كانت معدومةً، وكان يلزم لتنفيذ هذا العمل على الأقل مبلغ عشرة آلاف دولارٍ أو أكثر، ولم يكن لدينا شيءٌ من ذلك المبلغ، إضافةً إلى ما علينا من ديونٍ متراكمة هنا وهناك.

فهكذا كانت أوضاعنا وهكذا كانت إمكاناتنا التي سنعمل من خلالها عملاً كبيراً جدّاً للثَّأر لدماء المهندس، ولكن رغم ذلك يعلم الله أنَّنا كنَّا نملك الكنز الكبير، ألا وهو الإرادة والتَّوكُّل على الله، ثمَّ الإصرار على الجهاد ومواجهة كلِّ شيء، وتعاهدنا على خلق الإمكانات ولو من الصَّخر نفتِّته؛ لنُخرج منه حاجاتنا لكي نكون أوفياءً لديننا ولجهادنا ولوطننا ولدماء المهندس الشهيد بإذن الله، فقد وصل الحال في حينه إلى بيع بعض قطع السلاح للحصول على المواد المتفجرة اللازمة لتنفيذ العمليات الاستشهادية وقد بدأ العدُّ التَّنازلي، وبدأنا نُسابق الزَّمن، ونعدُّ أنفسنا دون كللٍ أو تعب، مصممين على إكمال المشوار مهما كانت النَّتائج، مستمدين قوَّتنا وعوننا من الله الذي يطَّلع على كلِّ شيء، وبدأ العمل الذي كان فكرةً لابدَّ من تحقيقها في ظروفٍ غايةٍ في الصُّعوبة، وإمكاناتٍ دون الصِّفر، ولكن بعزيمةٍ لا تلين أبداً.

جماهير غفيرة، تدعوا للثأر

المبحث الثَّالث

المرحلة الأولى من الخُطَّة بدأتْ من غزَّة

أولاً: انطلاق مجموعات الرَّصد ومباشرة تأمين الطُّرق

كان هذا العمل يحتاج لخطةٍ مُحكمةٍ ودقيقة، وأشخاصٍ أكْفَاء، وإمكاناتٍ كبيرة؛ للقيام بهذا الجزء من الخطَّة، وكان من المهم توفير المال الكافي لإنجاح المهمَّة، فتكفَّل المجاهد محمَّد الضَّيف بتأمين المال بقدر استطاعته، وبعد ذلك بدأ العمل بتوزيع الأدوار؛ لتنفيذ خطَّة العمل التي كانت فكرتها تدور حول تأمين طريق الحدود بالرَّصد المتواصل للدَّوريَّات (الإسرائيليَّة) ودخول مجموعةٍ استطلاعيَّةٍ إلى الداخل؛ لتأمين الطَّريق، مع توفُّر آليَّةٍ للاتِّصال بهذه المجموعة، والتي سننتظر منها خبر تأمين الطَّريق وكيفيَّة الوصول إليها، وليتم بعد ذلك دخول المجموعة الثَّانية، التي مُناطٌ لها مهمَّة إدخال المتفجرات إلى المكان المحدَّد في الدَّاخل المحتل، ومن ثَمَّ نقلها إلى الضِّفَّة الفلسطينيَّة، وبدأت مُجريات تنفيذ المهمَّة الأولى، وكانت هذه المهمَّة من المهمات الصَّعبة بل هي عصب العمل، وكما قلتُ سابقاً، فقد حدَّد المهندس وسيلة الدُّخول وبذل الجهود من أجل الوصول إليها، والتي استكملناها بعد استشهاده، فكانت الفكرة وَفْق التَّالي:

- **رصد التَّحرُّكات ليلاً**: رصدُ المنطقة باستمرار، ومعرفةُ تحرُّكات الدَّوريَّات طوال الليل، هي مهمَّةٌ ليست بالأمر السَّهل والهيِّن، ولمعرفة ذلك لابدَّ من شرحٍ كاملٍ ومفصَّلٍ عن طبيعة المنطقة، التي تُعدُّ منطقةً حدوديَّةً يوضع بها أسلاكٌ شائكةٌ تفصل المنطقتين عن بعضهما البعض، وتمتد هذه المنطقة من جنوب القطَّاع وحتَّى شماله، وهي منطقةٌ تمَّ تجهيزها بجميع الوسائل الأمنيَّة التي تجعل من المستحيل المرور عنها ببساطةٍ وسلام، فالسِّلك يبلغ ارتفاعه أربعة أمتار، وآخره منحنٍ داخل المنطقة، وهذا الانحناء عبارةٌ عن أسلاكٍ شائكةٍ جدّاً مليئةٍ بالحلقات المدببة، إضافةً إلى أنَّ هذه الأسلاك جميعها أسلاكٌ إلكترونيَّةٌ كهربائيَّة، وبمجرَّد لمسها أو هزِّها تُعطي إنذاراً، وفي دقائق تكون المنطقة محاصرةً من الجيش الصُّهيوني، حيث توجد منطقة مكشوفة ومنبسطة ومضاءة على مساحة 50 – 100م، وتُعدُّ هذه المنطقة من أخطر المناطق؛ بسبب رشم الدَّوريَّات (الإسرائيلية) لها يوميّاً قبل حلول الظَّلام، ومعنى "الرَّشم" هو تمرير

لوحٍ من الخشب المُنبسط؛ لتسويتها، ومحو أيِّ أثرٍ عليها، ويُرصد أيُّ أثرٍ جديدٍ بعد ذلك، وتعاد الكرَّة كلَّ يومٍ "صباحاً ومساءً".

- **دوريَّات الحراسة:** وهي دوريَّاتٌ كثيرةٌ تضمُّ فيها جنود قصَّاصي أثر، تمرُّ في أوقاتٍ مختلفةٍ على طريقٍ مُسفلتٍ؛ لكشف أيِّ أثرٍ جديدٍ أو أيِّ تغيير، وهذه الدَّوريَّات ليس لها موعدٌ محدَّد، فقد تمرُّ كلَّ خمس دقائق، أو كلَّ ربع ساعةٍ أو بينهما، كما وتستخدم هذه الدَّوريَّات أسلوب الكمائن باستمرار، فمثلاً تمرُّ الدَّوريَّة وقد لا تُواصل سيرها، وتعود بسرعةٍ من حيث أتت، أو قد تكمُن في إحدى الزَّوايا وتطفئ الأنوار، وفجأةً تراها أضاءت وسارت بسرعة، والأساليب المُتَّبعة كثيرة وتصعب مراقبتها والتَّكهُّن بها ومعرفتها.

منطقة الحدود الفاصلة مع غزة 1996م

- **الأضواء الكاشفة وإطلاق النَّار:** أسلوبٌ يستخدمه جيش الاحتلال، بحيث يُشعر الآخرين بأنَّهم مكشوفون، ما يُسبِّب الارتباك والخوف من قبل المُتسلِّل، وكثيراً ما حدث هذا مع المجاهدين، ما جعلهم ينسحبون، ثم يعودون مرَّاتٍ عدَّة علَّها تنجح، وكذلك فإنَّ المنطقة التي ما بعد السِّلك هي بالنِّسبة لنا مجهولة، ولا نعرف كيفيَّتها، ولا ما تُخبِّئ لنا من مفاجآت، ولا كم هي المسافة التي سنقطعها حتَّى الوصول إلى الطَّريق العام، ولا نعرف كيف سيكون السَّير، هل سيكون بطريقٍ مستقيمٍ أم متعرِّج، وأمورٌ كثيرةٌ كانت مجهولةً لنا ولا نعرف عنها شيء، وهذه المنطقة هي التي سيتسلَّلون منها، وعلينا أن نُذلِّل كلَّ الصِّعاب ونتغلب على جميع المشكلات قدر المستطاع، والباقي نترُكه على الله -عزَّ وجل-، لذلك كان لابدَّ من العمل المتواصل والسَّريع، وفعلًا كان هذا، وأُوجِدت الحلول لكلِّ المشكلات، والأمر في النِّهاية لابدَّ فيه من المخاطرة والمغامرة، وقد كانت الحلول كما يلي:

1- معضلة السِّلك الفاصل

وضع المهندس حلًّا لها بعدما توصَّل إلى عدم إمكانيَّة قطع السِّلك أو اختراقه دون وقوع إنذار، فكان لابدَّ من وجود حيلةٍ أخرى؛ لتفادي لمس السلك، وقد هدى الله المهندس لوضع الخطَّة لنقوم نحن بتنفيذها، فكانت الفكرة تتمثَّل في استخدام عدَّة سلالم، توضع بحيث ترتكز بعضها على بعض، ويُحصر السِّلك في المنتصف، مع الحرص على عدم لمسه، وهكذا تتوفَّر طريقةٌ يُمكن من خلالها اجتياز السِّلك من أعلاه بتجهيز سيبةٍ - سلَّم مزدوج - مثل الذي يُستخدم في دهان المنازل، بطول أربعة أمتار، حيث يُثبَّت لوحٌ من الخشب في أعلى السِّيبة، تكون أطرافها بارزةً عن اليمين والشِّمال، وتُنصب السِّيبة بشكلٍ موازٍ للسِّلك، بحيث تبعد عنه 10 سم، وترتكز مع الطرفين الآخرين بعد وضع أرجل إضافيَّة لهذين الطَّرفين؛ لتثبيتها على الأرض، ويمسك شخصان السِّيبة بقوةٍ؛ كي لا تتحرَّك، فيم يصعد شخصٌ آخر عليها ويضع سُلَّماً طويلاً من الجهة الثَّانية، بحيث يرتكز على طرف الخشبة المُثبَّتة في السِّيبة من الأعلى، وبذلك يكون ممرُّ العبور، مع الحرص على إزالة الآثار جميعها، وهذا يتطلَّب وجود شخصٍ يفهم في قصِّ الأثر، مهمَّته إزالة الآثار وإرجاع الأرض كما كانت عليه سابقاً.

2- معضلة الأرض المكشوفة وإزالة الآثار

أُوكلت هذه المهمة لأحد الإخوة في المجموعة الثَّانية التي ترصد الحدود، وكان لديه خبرةٌ في ذلك، وهو سيدخل أيضاً إلى الدَّاخل المحتل مع المجموعة التي ستخترق الحدود؛ ليكون المرشد الذي سوف نسير على أثره، وقد كان المشي وراء هذا الشخص مُلزِمٌ لنا، فأينما يضع قدمه نضع أقدامنا، فكان يختار المنطقة اليابسة ويقوم بفرد قطعةٍ من القماش؛ لكي يتم السَّير عليها وهكذا.

3- معضلة الدَّوريَّات، والإجراءات الأمنيَّة

أمَّا فيما يخصُّ الدَّوريَّات الموجودة على طرف الحدود، فلم يكن باستطاعتنا

فعل شيءٍ لها سوى الرَّصد والتَّوكُّل على الله، وقد أجبرتنا هذه المشكلة على الانتظار أكثر من مرَّةٍ والسَّهر مرَّاتٍ عدَّة، وبذل المحاولات الكثيرة، وكم عدد المرَّات التي بدأنا بها العمل ثمَّ نوقفه؛ بسبب تلك الإجراءات، فكنَّا نهمُّ بالعمل وإذ بالأضواء من بعيد، فنضطرُّ فوراً إلى إرجاع كلِّ شيءٍ والخروج من المنطقة بسرعةٍ عالية وإرجاع كلِّ شيءٍ إلى ما كان عليه، وكلُّ واحدٍ منَّا كان له عمله المحدَّد، وقد استخدمنا منظاراً ليليّاً؛ ليُساعدنا في الرُّؤية ورصد الدَّوريَّات واستغلال الوقت.

4- معضلة طريق المرور

أمَّا بالنِّسبة لطريق العبور والمرور، فكان لزاماً علينا معرفة الطَّريق والمسافة التي سنقطعها، ولذلك تمَّ الاتِّفاق على دخول ثلاثة مجاهدين يُشكِّلون المجموعة الأولى، تكون وظيفتها استطلاعيَّة، ولا يحملون معهم أيَّ شيءٍ حتَّى لو -لا قدر الله- قُبض عليهم فستكون روايتهم المضللة هي أنهم عمال هدفهم البحث عن عملٍ في الدَّاخل المُحتل، فحُدِّد الإخوة الثَّلاثة، على أن يكون من بينهم قصَّاص الأثر، وهكذا استطعنا وضع حلولٍ للمشكلات قبل البِدء بالعمل في هذه المنطقة التي سنتسلَّل منها صوب المُراد.

مجموعات اختراق الحدود

بالعودة إلى تفاصيل آليَّة اختراق الحدود، وبعد هذا الشَّرح كانت فكرة العمل تقوم على تشكيل مجموعتين:

المجموعة الأولى:

تكمن مهمَّتها في الاستطلاع والرصد المتواصل، وقد وصلت إلى منطقة الحدود في اليوم المحدد قبل منتصف الليل، وكُنتُ معهم، فراقبنا المنطقة جيداً، وحينما سنحت لنا فرصة التسلل تحركت مجموعة الاستطلاع نحو السِّلك الزَّائل وألقت بالسلالم التي أُعدّت من قبل لهذا العمل، وصعدت مجموعة الاستطلاع على السَّلالم هابطةً في الجهة الأخرى من السِّلك، وتضمُّ هذه المجموعة المجاهدون:

"سالم المهموم، وسهيل أبو نحل، ومجاهدٌ آخر "قصّاص أثر""، وساروا نحو نقطةٍ متّفقٌ عليها، وكانوا أثناء سيرهم يرشمون الأرض ويمسحون آثارهم.

خطّة سيْر المجموعة:

أوّلاً: كان المطلوب من المجموعة أن تجتاز المنطقة، وتحدِّد نقطةً معيَّنةً قريبةً من الشّارع العام، أسميناها "نقطة اللقاء"، ويكون دور المجاهد "قصّاص الأثر" حفظ ومعرفة المنطقة والنُّقطة، ثمَّ الرُّجوع فوراً إلى قطاع غزّة، وكانت مهمّته صعبة، خاصّةً وأنّ الوقت ليلاً، والظّلام حالك، والمجاهد لا يملك بوصلةً ولا أيّ إمكانات، وكان علينا نحن أن ننتظره حتّى يعود؛ لننصب السّلالم له من جهة القطاع ليعبر السِّلك، وقد دخلت هذه المجموعة بعد السّاعة الثّانية عشرة ليلاً، وبقينا في انتظارها حتّى السّاعة الثّالثة والنِّصف صباحاً، وكان على هذا المجاهد عند عودته إعطاء إشارةٍ تتمثّل في قذف الحجارة عند وصوله إلى السِّلك وإخراج أصواتٍ تُشبه أصوات الحيوانات، وبالفعل وصل إلى السِّلك وأعطى الإشارة، ولكنّنا لم نستطع فعل شيءٍ له؛ لكثرة الدّوريّات في تلك السّاعة، وبدأ الوقت ينفذ بسرعةٍ، واقترب فجر النّهار من البزوغ، والخطر يزداد ونحن لا نملك له شيء، فكان عليه أن يعتمد على نفسه، وبالفعل كان ذلك حيث قطع السلك وركض إلينا بأسرع ما يمكن، وامتلأت المنطقة بعد ذلك بالدّوريّات للبحث والتّفتيش، وجلس ليرتاح قليلاً وتابع معنا ما يحدث في المنطقة بسبب عمله البطولي والجريء.

الشهيد المجاهد سهيل أبو نحل، بجانب صورة الشهيد يحيى عياش

ثانياً: أما بالنِّسبة للأخوين الآخرين "سالم المهموم، وسهيل أبو نحل"، فكانت على عاتقهما مهمَّةٌ صعبة، تتوقف عليها نجاح المهمَّة وبعد تحديد نقطة اللقاء عليهما الاعتماد على نفسيهما والدُّخول إلى بلادنا المحتلَّة كعمَّالٍ والمكوث في بيَّارةٍ في منطقة أسدود، وإيجاد مأوى مؤقَّتٍ لهما هناك، وتوقيف سيارةٍ واستخدامها للتَّنقُّل في داخل الأراضي المحتلَّة، ثمَّ نقلي والعتاد الذي أحمله.

المجموعة الثَّانية:

تتمثَّل هذه المجموعة في شخصي، إضافةً إلى المتفجِّرات والعتاد والمستلزمات الأخرى التي تلزم للعمل، وقد كان الاتصال بيننا بالبيلِفون، فقد وفَّرنا جهازين وبأسماء مزوَّرة، وأخذت كلُّ مجموعةٍ واحدًا، وكانت بيننا شيفرةٌ معيَّنة، وكان مطلوبٌ منهما البَدء بالاتصال باستخدام كلمة السِّر، ونصَّت الخطة على مكوثهم هناك أسبوعاً كاملاً ومن ثمَّ الاتِّصال بنا وإخبارنا بأوضاعهم، وعلى إثرها يُتَّخذ القرار بالدُّخول أم لا.

ثانياً: مرحلة الإعداد والتَّجهيز في غزَّة

مجموعة القدس

قبل استشهاد المهندس وبعد التَّفجيرات التي حدثت في القدس، شُنَّت حملة اعتقالاتٍ كبيرة، وأُلقي القبض على مجموعاتٍ من أبناء الضِّفَّة، وكانت ضربةً قويَّةً ومؤلمةً أثَّرت على عمل كتائب القسَّام هناك، وخاصَّةً بعد اعتقال المجاهد عبد النَّاصر عيسى، الذي درَّبه العيَّاش وأرسله إلى الضِّفَّة؛ لتنفيذ عمليَّات في القدس عام 1995م، وقد أدَّى ذلك إلى قطع الاتِّصال بين غزَّة والضِّفَّة، وزاد الأمر تعقيداً استشهاد المهندس الذي كان مسؤولاً بالدَّرجة الأولى عن الاتصال بالضِّفَّة، وقد انقطع الاتِّصال بعد استشهاده، وكان من الضَّروري جدّاً لعملنا الذي نحن بصدده توفير آليَّة اتِّصالٍ جديدةٍ مع الإخوة هناك، وتوفير مجموعاتٍ هناك، خاصَّةً وأنَّ العمل كلَّه سينطلق من الضِّفَّة، وكانت هذه مشكلةً كبيرةً لنا، ومع ذلك لم نيأس، فاستمرَّت الاتِّصالات مع العديد من الجهات.

وكانت لنا هناك مجموعةٌ قديمةٌ في القدس، ارتبطت بالتَّنظيم العسكري في إحدى زياراتها لقطاع غزَّة، وطُلب منها عدم مباشرة أيِّ عملٍ حتَّى يُطلب منهم ذلك، ولم ينقطع اتِّصال هذه المجموعة مع قطاع غزَّة طيلة الوقت دون أن يتمَّ تفعيلها، طلب القائد العام أبو خالد الضَّيف من حلقة الوصل مع المجموعة، إبلاغهم بوصول مجاهدٍ إليهم من قطاع غزَّة؛ لمساعدته وتسهيل مهمَّاته، واتُّفق معهم على موعد الالتقاء به في مدينة الرَّملة بالقرب من المسجد الكبير ما بين صلاتي المغرب والعشاء، وكانت هذه المجموعة تتكوَّن من مجاهدَيْن، هما: "أكرم القواسمي وأيمن الرازم"، وهما من سكَّان مدينة القدس، وقد اُعتُقلا بعد عمليات الثأر المقدس، وحُكم على كلِّ واحدٍ منهما بالسَّجن مؤبَّدين.

الأسير المجاهد/ أكرم القواسمي

الأسير المحرر/ أيمن الرازم، نال الحرية في صفقة وفاء الأحار

وقد جرى تعريفي على أفراد هذه المجموعة مسبقاً، قبل خروجي من قطاع غزَّة، عبر صورٍ لهم، أروني إيَّاها لأتعرَّف عليهم حال ملاقاتهم، وجُهِّزت لي أيضاً هويَّة وهمية تعود لأحد أهالي مدينة القدس.

ترتيباتٌ لابدَّ منها

- توفير مبلغٍ من المال في ظلِّ قلَّة الحال: كان قد وفَّره لي القائد العام أبو خالد الضَّيف، ووعدني بتوفير مبلغٍ آخر فيما بعد؛ للاستعانة به بعد الخروج من غزَّة.
- جرى التوافق على آلية اتصالٍ بيننا، ترتكز على شخصٍ يعمل في الداخل المحتل، وهو ذات الشخص الذي أوصل الرسالة الأولى لمجموعة القدس حينما جرى تفعيلها، وجرى تحديد موعد لقاء ثابت بين مجموعة القدس وهذا الشخص كل جمعةٍ قريبًا من المسجد الأقصى، حيث شجرةٍ تسمَّى "شجرة الإخوان"، حيث يجري تبادل الرَّسائل بيننا؛ لتوصيلها إلى غزَّة، وكان الاتفاق على تقليل الرِّسائل قدر الإمكان.
- جرى تجهيز كمِّيَّةٍ من المتفجِّرات، تقرب من 35 كجم من مادة TNT، معجونةٍ ومجهَّزةٍ في حقائب يَسْهل حملها، وكذلك تجهيز قنابل وصواعق وكلُّ ما تحتاجه عمليَّات التَّفجير.
- عُقد اتِّفاق مع القائد العام أن يُرسل بعد أسبوعٍ من خروجي ثلاثة من المجاهدين الاستشهاديِّين؛ واستقبالهم في نقطةٍ محدَّدة ونقلهم للضِّفة الغربيَّة، ليكونوا جزءاً مهمَّاً من العمليَّات العسكرية التي سأنفِّذها، وقد جرى إعداد هؤلاء الأشخاص ووصايا لهم.
- من وصايا القائد العام: عدم الإطالة، والسُّرعة في العمل، وعدم الإكثار من الاتِّصالات أو كثرة المراسلات، وعدم توسيع دائرة العمل، والمحافظة على نفسي وإخواني، كما حمَّلني مسؤوليَّة العمل المكلَّف به داخل الضِّفَّة، والاعتماد على نفسي، ثمَّ خيَّرني بين العمل والعودة بعد تنفيذ العمل المطلوب، كنتُ مصمِّماً على البقاء هناك ومواصلة العمل، حيث كان لديَّ مشروعٌ ومخطَّط لخطف الجنود ومبادلتهم بأسرى.

وبذلك انتهت الوصايا وانتهى آخر لقاءٍ بيني وبين القائد العام محمَّد الضَّيف، وبقيتُ أنتظر المكالمة الهاتفيَّة من المجموعة الأولى التي دخلت سابقاً حتَّى ننفِّذ الجزء الآخر من الخطَّة وأدخل إلى قلب الكيان.

المبحث الرَّابع

وداعاً يا غزَّة الأحرار

أولاً: على أعتاب الضِّفَّة، وآخر وداعٍ لغزَّة

بعد استشهاد المهندس وقرار التَّجهيز لعمليَّات الثَّأر، وإتمام تجهيز كلِّ ما يلزم، بدأتُ أحضِّر نفسي للخروج إلى الضِّفَّة، وكان لزاماً أن يكون الأمر طبيعيّاً جدّاً لا يشعر به أحد، ولا يعلم به الأهل، لذلك كان لابد من إيجاد قصَّةٍ يتمُّ حبكها على الأهل؛ لكي لا يشعروا بشيءٍ، خاصَّةً ألَّا يقلقوا لغيابي الطَّويل عنهم، وأنا ما زلتُ عريساً مع أنني لم أمكث في البيت إلَّا أيامٍ وكنتُ آتيهم زائراً، لذلك وبعد انتهاء مراسم التَّشييع للمهندس، وبَدء التَّفكير بالخروج، أخذتُ أمهِّد الأمر للأهل، وخاصَّةً الزَّوجة والوالدة، حيث أخبرتُهم أنَّ الأوضاع أصبحت صعبةً جدّاً، وأنَّ السُّلطة تُطاردنا وتريد اعتقالنا، وسيصعب عليَّ المجيء إلى البيت، لذلك سأضطرُّ للغياب فتراتٍ طويلةٍ حتَّى تهدأ الأمور، وكان الأمر طبيعيّاً، لكنَّ نظرات الوالدة كانت تُشعرني أنَّها لا تصدِّق ما أقول، ولكنَّها لم تكن لتتحدَّث بما تشعر به؛ خوفاً من إغضابي، وكانت لا تقول إلَّا "إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، الله يرضى عليك"، كنتُ أشعرُ بالتَّغيير على وجهها وفي سلوكها.

بعد هذا الحديث بفترةٍ بسيطةٍ أخبرتُهم أنَّني وجدتُ مأوى في مدينة غزَّة عند رجلٍ استعدَّ أن يأويني لفترةٍ عنده، لذلك سأغادرُ قريباً عنده ولن أتمكَّن من المجيء عندكم، وستصلُكم أخباري من رفاق دربي، وأيضاً سأحاول الاتصال بكم تلفونيّاً، وهذا ما أشرتُ به للأهل، وقد صدَّق الجميع الموضوع خاصَّةً الزَّوجة، إلَّا الوالدة التي كانت ترمقني بنظراتها الحزينة ودموعها، وكأنَّها تُودِّعني، وكأنَّها تعرف كلَّ شيء.

أمَّا الزَّوجة، فقد كانت جديدةً ليس لها إلَّا شهرين، وهذا ما كان يؤرِّقني؛ خوفاً من أنْ أكون قد ظلمتُها، ولكنَّها وافقت على الزَّواج وهي تعرف حياتي بالتَّفصيل، وما سأقوم به أكبروأعظم من كلِّ شيء، ولا يمكن أن يمنعني منه أحدٌ سوى الموت، وفي اليوم الذي حدَّدتُه والقيادة للخروج إلى الضِّفَّة أحببتُ أنْ أقضي هذا اليوم بعد تجهيز كلِّ شيءٍ مع الأهل، فلا يعلم الإنسان ماذا سيحدث له، وفعلاً جئتُ إلى البيت

في الصَّباح، وكنتُ متعباً، فنمتُ حتَّى الظُّهر، ثمَّ جلستُ مع الوالدة وأخذتُ أمازحها وألاطفها، وأخبرتُها أنَّني اليوم سأغادر إلى المأوى الجديد في غزَّة، وطلبتُ منها عدم القلق، وبذلتُ الجهود الحثيثة لطمأنة الوالدة التي لم تفارق الدُّموع عيونها.

وقبيل حلول مساء ذلك اليوم، وفور عودتي إلى بيتي، وإذ بي أتفاجأ باجتماع أفراد عائلتي حول والدتي فشككت أنَّ أمراً يخفونه عنِّي، لتكون البُشرى التي نطقت بها والدتي أنَّ زوجتي حامل، ولكن رغم فرحتي بالخبر كان لا يمكن أن يتغيَّر شيء، فلم تثنني هذه الفرحة عن استمراري في ذاك الطَّريق الذي رسمتُه ورفاق دربي من المجاهدين، لتقطع حبل أفكاري نظرات والدتي إليَّ وكأنَّها تقول لي: "إنني أعرف كلَّ شيء، وأرجوك ألَّا تخرج"، فجلستُ بجانبها ووضعتُ رأسي على رجلها، فأخذَتْ تداعبُ شعري بيدها الطَّاهرة، وقد شعرتُ بها وهي تبكي من تساقط دموعها على وجهي، فلم أتفوَّه بأيِّ كلمة، ثمَّ نهضتُ وتحدَّثتُ مع زوجتي؛ محاولاً التَّخفيف من قلقها، وفي المساء اجتمعنا على المائدة الرَّمضانية، متناولين طعام الإفطار في جمعةٍ جميلةٍ يلتمُّ فيها شمل العائلة، وما أن اكتفيتُ ببضع لقيمات أتَّقي بها جوعي نهضتُ إلى غرفتي لأداء الصَّلاة، وما أن انتهيت حملتُ أغراضي التي كنتُ قد جهَّزتُها مسبقاً، مغادراً الغرفة من الباب الخلفيِّ لها دون أنْ أرى أحداً، أو يروني.

كان هذا هو الوداع الأخير للأهل ولغزَّة وللجميع، وبعد حدوث ما حدث واعتقالي وزيارة الوالدة لي أخبرتني حينها أنَّها كانت تشعر بكلِّ شيء، وكانت على يقينٍ أنَّني سأنفِّذ أموراً ليست بسيطة، وقد لا تراني، وقد أخبرتني أنَّها تبعتني للغرفة، ولكن لم تجدني، فجلستْ في غرفتي تبكي، برغم إصرارها على كتمان أحزانها؛ دون أن يشعر بها أحدٌ في البيت فيقلقون وخاصَّةً زوجتي، واستمرَّت تتابع أخباري، وتدعو لي في كلِّ صلاةٍ بالتَّوفيق، وقد تبيَّن بعد ذلك أنَّ زوجتي ليست بحامل، وبعد تفكيرٍ طويلٍ وعدَّة مشاورات قرَّرتُ أن أجعلها في حلٍّ من أمرها، ولكنَّها رفضتْ وأصرَّت على البقاء، ولكن كان ذلك في نظري ظلم، وبعد التَّفاهم معها تمَّ الطَّلاق.

ثانياً: المجموعة الثَّانية تصل ساحة النِّزال

مهاتفة المجموعة الثَّانية

جاءت المكالمة المرتقبة، حيث تلقَّت المجموعة الأولى اتصالها المنتظر، وأخبرونا أنَّ الوضع جيِّد ويمكنهم استقبالنا، وطلبوا منَّا عند اجتيازنا السِّلك وقبل وصولنا نقطة الالتقاء أن نتَّصل بهم ونخبرهم بأنَّنا في الطريق إلى النقطة؛ لكي يتمكَّنوا من الوصول إلينا وأخذنا في السَّيَّارة، وتمَّ تحديد موعد الخروج.

وبعد تناول طعام الإفطار حيث كنَّا في ظلال شهر رمضان توجَّهنا إلى السِّلك الزائل بين غزَّة والداخل، وكنَّا خمسة أفراد، ومن ضمنهم قصَّاص الأثر وأخٌ آخر يريد الدُّخول معي، وجلسنا طوال السَّاعات ننتظر الفرصة ونراقب الوضع حتَّى أصبحت السَّاعة الثَّانية عشرة منتصف الليل، وسمحت لنا الفرصة بالدُّخول بعد مرور دوريَّة الجيش الصُّهيوني، فذهبنا بسرعةٍ تجاه السِّلك ونصبنا السَّلالم وصعدتُ أنا والأخوين الآخرين، كلٌّ منَّا يحمل على ظهره حقيبة،.

وكان أوَّل من صعد هو الأخ قصَّاص الأثر، فرأى ضوءاً يتَّجه نحونا، وكانت لحظةً عصيبةً جدّاً، وبسرعةٍ نزلنا وحملنا السَّلالم وعدنا إلى حيث كنَّا، ومرَّت الدَّوريَّة بسلام، وهذا كلُّه من فضل الله علينا، ومن ثمَّ عدنا مرَّةً أخرى وبسرعةٍ إلى السِّلك، ونصبنا السَّلالم، وصعد الأخ الأوَّل ثمَّ تبعتُه أنا وتبعنا الأخ الثَّالث، وأصبحنا جميعاً في الطَّرف الثَّاني من السِّلك، لتبدأ الرِّحلة معي، وكان أصعبها في بداياتها، حيث كان يتوجَّب علينا السَّير بحذرٍ وخفَّةٍ، وأن نضع أقدامنا حيث كان يضع الأخ قصَّاص الأثر قدمه، وكان يضع قطعة قماشٍ لنسير عليها؛ وذلك لعدم ترك أيِّ آثارٍ للأقدام على الأرض، وتمَّت بحمد الله هذه المرحلة، وقطعنا المنطقة الحرجة والخطرة، ثمَّ كان علينا أن نختبئ في منطقةٍ ما وننتظر حتَّى قدوم دوريَّةٍ؛ لنتأكَّد من أنَّهم لم يكتشفوا شيء، وجاءت الدَّوريَّة ومرَّت دون أن تشعر بأيِّ شيءٍ قد تغيَّر، وهذا ما جعلنا نتنفَّس الصَّعداء ونواصل المسير، وكانت الأمطار تهطل علينا، وذلك رحمةٌ لنا ونفحةٌ إيمانيَّةٌ؛ لإزالة أيِّ آثارٍ للأقدام، وكانت وظيفة

الأخوين معي هي توصيلي بحقائب المتفجِّرات إلى نقطة اللقاء ثمَّ العودة ثانيةً في نفس اليوم، وكنَّا نجري بأسرع ما يمكن، وكلٌّ منا يحمل على ظهره حقيبةً والطَّريق وعرةٌ والأمطار تهطل والمنطقة معتمةٌ جداً، ويعلم الله وحده كم هي المرَّات التي تعثَّرتْ فيها أقدامنا وسقطنا على وجوهنا أرضاً، ولكنَّني كنتُ أشعر بأنَّني في نزهةٍ وسعادةٍ واطمئنانٍ كبيرٍ في داخلي بأنَّ الله معنا ولن يتركنا، وسيبارك لنا عملنا هذا، فكانت هناك عزيمةٌ وثقةٌ بأن الله سيوفقنا فيما خرجنا إليه.

وفيما يخصُّ الأخ الذي يعرف المنطقة، والذي سيقودنا إلى نقطة اللقاء تلبَّس عليه الأمر؛ بسبب المطر والظُّلمة، فمكثنا ما يقرب من ساعةٍ ونحن ندور حول أنفسنا في نفس المنطقة، حتَّى استطاع أنْ يرى شاخصةً قد رآها في المرَّة السَّابقة، وهي شجرةٌ مقطوعة، وبعدها سرنا في الطَّريق الصَّحيح، وعندما قطعنا نصف الطَّريق قمنا بالاتِّصال بالمجموعة الأولى وأخبرناهم أنَّ أمامنا ساعة ونصف للوصول إلى نقطة اللقاء، ووصلنا إلى النقطة حيث الشَّارع العام، واختبأنا خلف الأشجار، ومكثنا ننتظر قدوم السَّيَّارة المُتَّفق عليها، وعاودنا الاتِّصال بهم وأخبرونا أنهم في الطريق قادمون إلينا، وبقي خط التِّليفون مفتوحاً بيننا؛ لكي نحدِّد سيارتهم ويقفوا أمامنا مباشرة، وفعلاً رأينا السَّيَّارة وقد وصلت، وكانت تمشي ببطءٍ حتَّى خلا الشَّارع من أيِّ سيّارةٍ أخرى فتوقَّفت أمامنا، وبسرعةٍ فُتحت الأبواب وتمَّ نقل الأغراض والحقائب، وقد حدث معي هنا أمرٌ مضحكٌ، فبعد دخولي السَّيَّارة نسيتُ توديع أحد الإخوة، وإذ به يُدخل نصفه إلى السَّيَّارة ويُقبِّلني ولم يتركني إلَّا بعد أن تحرَّكت السَّيَّارة بسلام.

وخلال سيرنا لاحظنا ضوء سيارةٍ قادمةٍ من بعيد، فخشينا من كون أحدٍ قد رآنا، فاضطررنا إلى السَّير في الجهة المعاكسة لوُجهتنا حتَّى نتفحَّص الأمر، وكانت السَّيَّارة القادمة عبارة عن إحدى دوريَّات حرس الحدود، وقد كتمنا النَّفس ولم نرتاح إلَّا بعد أن تجاوزنا هذه الدَّوريَّة وكأنَّه لم يحدث شيء، وبعدها رجعنا بالسَّيَّارة إلى البيَّارة التي سنجلس فيها بعض الوقت، وهي في منطقة أسدود؛ لكي ننتظر المجموعة الثَّالثة التي تتكوَّن من الاستشهاديِّين الذين سيتمُّ إرسالهم من غزَّة

وسآخذهم إلى الضِّفَّة؛ لينطلقوا من هناك لتنفيذ العمل، وفعلاً وصلنا البيَّارة في أسدود بعد ساعةٍ ونصف ونحن داخل السَّيَّارة، ودخلنا البيَّارة وقمنا بإخفائها بين الأشجار، ومكثنا في البيَّارة عدَّة أيامٍ ننتظر وصول الاستشهاديِّين من غزَّة، ولكن وللأسف الشَّديد فقد وصلنا الرَّدُّ بأنَّه أصبح من المستحيل دخول أيِّ شخصٍ من غزَّة، ولذلك فإنَّ غزَّة لن ترسل لنا الاستشهاديِّين الثَّلاثة الذين سيقومون بتنفيذ العمل، وقد كان هذا الخبر يُشكِّل فاجعةً كبيرةً وصدمةً لم أكن أتوقَّعها، ولكن قدر الله نافذ، وعزائم الرِّجال لا تلين.

ثالثاً: حياة الأسود في براري مدينة أسدود

تقع مدينة أسدود داخل الخطِّ الأخضر، وهي مدينةٌ فلسطينيَّةٌ تشتهر بالأراضي الزِّراعيَّة وكثرة البيَّارات، وهي محتلَّةٌ من اليهود كغيرها من المدن الفلسطينيَّة، أمَّا البيَّارة التي وصلنا لها، فهي واسعةٌ جدّاً، حيث تبلغ مساحتها أكثر من مائة دونم تقريباً، وكلها مزروعةٌ بالبرتقال، وهي من ضمن البيَّارات التي يعمل بها عمَّالٌ عرب ويستخدمونها أيضاً مأوى للعمَّال الذين لا يملكون تصاريح للمبيت في دولة الكيان، وهي أيضاً مأوى لسارقي السَّيَّارات حيث يختبئون بداخلها، وكانت السَّيَّارة التي نستعملها واحدةً من هذه السَّيَّارات، والمخبَّأة في البيَّارة، وقد وصلنا بها ليلاً وأخفيناها تحت الأشجار في طرف البيَّارة.

تجهيز المنامة

مع وصولنا للبيَّارة على عجلٍ جهَّزنا خيمةً لنا من النَّايلون؛ وأخفينا حقائب المتفجِّرات في مكانٍ آمنٍ قبل التَّفكير في أنفسنا، ولم أُبقِ معي سوى سلاحي الشَّخصي؛ بسبب ظروف المطاردة.

لقد كانت حياتنا في البيَّارة خطرةً جدّاً؛ لأنَّ البيَّارة تكثر عليها مداهمات الشُّرطة؛ للبحث عن العمَّال وسارقي السَّيَّارات، لذلك كان الوضع خطيراً، وكنَّا ننام بعض الوقت في الليل، وفي الصَّباح نُزيل الخيمة ونتنقل في البيَّارة، نختبئ في أرجائها طوال النَّهار؛ لكي لا يرانا أحدٌ من العمَّال أو اليهود، وكنَّا نتفقَّد السَّيَّارة بين الفَيْنة

والأخرى؛ تفادياً لأيِّ مفاجأةٍ طارئة، وكان اعتمادنا كبيراً على تناول البرتقال؛ لعدم تمكُّننا من توفير الطعام في ظلِّ الظرف الأمني، وكنَّا ننتظر بفارغ الصَّبر الأخبار من غزَّة حول إمكانيَّة وصول الاستشهاديِّين الذين وعدونا بإرسالهم لنا، ولكن الوضع في غزة تغير ولم يعد ممكناً إرسالهم إلى البيارة، وهذا يعني أن أعتمد على نفسي في توفير الاستشهاديِّين من مناطق الضِّفَة الغربية، وهذا الأمر ليس سهلاً، خاصَّةً أنَّني لا أعرف أحداً هناك، وبعد أربعة أيَّامٍ من مكوثنا دون فائدةٍ قرَّرتُ أن أغادر إلى الضِّفَّة؛ لأنَّ وجودنا في هذه المنطقة أصبح خطراً جدّاً، وكأنَّني أضع نفسي بين فكَّي العدو، وقد حدث ما لم يكن في الحسبان، حيث جاءت الأوامر من غزَّة تطلب منِّي المزيد من الانتظار في البيَّارة، بل قد يكون الأمر بالعودة إلى غزَّة مرَّةً أخرى وتأجيل كلِّ شيء، وفي نفس الوقت أرسلت مجموعة القدس رسالةً إلى غزَّة تفيد بأنَّ أوضاعهم لا تسمح باستقبال أحدٍ وأن لديهم ظروفاً شخصيَّة تمنعهم من تقديم أيِّ مساعدة، وكان هذا الأمر يلزمني أن أنتظر حتَّى تُحلُّ هذه المشكلات الطَّارئة؛ لكنَّني رفضتُ مبدأ العودة إلى غزَّة، وأصررتُ على أن أُكمل مشواري وخطَّتي؛ لأنني أدرى بواقعي الجديد الذي أتحرَّك به، ويصعب عليَّ شرح ذلك للقيادة في غزَّة، وقررت الاعتماد على نفسي في ترتيب أموري وترتيب الاتصال مع مجموعات القدس، وكان هذا آخر اتِّصالٍ بيني وبين غزَّة.

إضافةً إلى أنَّ هذا الرَّأي كان رأي الإخوة المتواجدين معي في البيَّارة، لذلك قرَّرتُ وغامرت واتَّصلتُ مع مجموعة القدس بواسطة التيليفون، وللأسف لم أتمكَّن من الحديث معهم إلَّا بعد يومين، وبهذا تكون لنا ستَّة أيَّامٍ في البيَّارة، وكنَّا نتحدَّث ببعض العلامات والرُّموز، وقد عرفوا أنَّ من يكلِّمهم هو الشخص الذي سيلتقي بهم، وكان كلُّ حديثهم اعتذارات وتبريرات، وكان لابدَّ من أنْ أضعهم تحت الأمر الواقع، فتحدَّثتُ لهم أنَّني غداً سأكون في المسجد، ويجب أنْ أراهم؛ لأنَّني مشتاقٌ لهم، وأغلقتُ الجوال، وفعلاً في اليوم المحدَّد جهَّزنا السَّيَّارة، وبعد صلاة المغرب انطلقنا تاركين أغراضنا في البيَّارة، وكانت هذه مخاطرةً؛ لأنَّ السَّيَّارة مسروقةٌ ومعرَّضةٌ لملاحقة الشُّرطة، ولكن كان لابدَّ من هذه الخطوة.

ووصلنا إلى المكان المحدَّد، وفعلاً انتظرنا ما يقرب السَّاعتين دون أن يظهر أحدٌ فعدْنا أدراجنا.

انقطاع الاتِّصال والقرار الذَّاتي

لقد بات وجودنا في البيَّارة عبأً كبيراً علينا، وخطراً على خطَّتنا وهدفنا؛ لأن استمرار بقائنا هو تهديد لكلِّ ما حقَّقناه منذ البداية، الأمر الذي يستدعي منَّا قراراتٍ جريئةٍ وسريعة؛ لإنهاء أزمة وجودنا في البيَّارة، وهنا قرَّرتُ الاعتماد على نفسي، وبَدء التَّحرُّك صوب الضِّفَّة الغربية، فطلبتُ من أحد الإخوة الذين برفقتي الذَّهاب إلى العمَّال الذين يعملون في البيَّارة، ويستفسر منهم عن كيفيَّة الوصول إلى الضِّفَّة، وفعلاً بعد التحدُّث مع أحد العمَّال أخبرنا أنَّه من الضِّفَّة ولا يملك تصريحاً، وأنَّ هناك سائق سيَّارةٍ كبيرةٍ يتعاملون معه وينقلهم كلَّ أسبوع، فأخبرهم مبعوثنا انَّه يوجد صديقٌ له في البيَّارة وهو طالب في جامعة بيرزيت، تمكَّن من الوصول إلى البيَّارة دون تصريح، وهو يريد الذَّهاب إلى الضِّفَّة لمواصلة دراسته الجامعية، والتي ستبدأ غداً، فإذا كان من الممكن مساعدته للوصول إلى الضِّفَة، فأخبروه أنَّ بحوزتهم رقم تليفون لصاحب تلك السيارة الكبيرة ومن الممكن التَّواصل معه، فتواصلنا معه فاشترط علينا أن ندفع له حمولة السَّيَّارة بالكامل، فوافقنا على ذلك.

جهَّزتُ نفسي للانطلاق إلى الخليل مع السَّائق في اليوم التالي ورتَّبتُ الأمور مع الأخوين الذين برفقتي في البيَّارة، وأوضحتُ لهم أنَّني أريد ترتيب الأمور في الضفة الغربية ثم أعود لأخذ الحقائب وكلِّ أمتعتي، وسأبقى على اتصالٍ بهم؛ للاطمئنان عليهم من جانب، وأطمئنهم على نفسي من جانبٍ آخر، وهذا استدعى أن أخرج خارج البيَّارة؛ كي أتعرَّف عليها من الخارج؛ لأتمكَّن من العودة إليها، وفي الصَّباح جهَّزتُ نفسي وودَّعتُ الأخوين، وانطلقتُ مع السَّائق، ولم آخذ أيَّ شيءٍ معي حتَّى مسدَّسي الشَّخصي؛ لأنَّني كنتُ أحمل هويَّةً مزوَّرة.

انطلقتْ السَّيَّارة وأخبرتُ السَّائق أنَّني لا أحمل تصريحاً، لذلك عليه ألَّا يمرَّ من الحواجز، فطمأنني وقال لي: "لا تخش شيئاً، فهذا عملي منذ زمن"، ووصلتُ إلى منطقة الظَّاهريَّة وهي من المناطق التي تقع في منطقةٍ تعرف (ب)، وهي منطقةٌ تقع تحت السَّيطرة الأمنيَّة الصُّهيونيَّة وبها شرطةٌ فلسطينيَّة، وقد أعطيتُ السَّائق 600 شيكل، وبمجرَّد نزولي من السَّيَّارة بدأتُ العمل الشَّاقِّ؛ للوصول إلى القدس، وقد كنتُ في حيرةٍ من أمري، فأنا لا أعرف شيئاً، ولا أعرف أحداً، ولا أعرف إلى أين أسير أو أتوجَّه، حتَّى ألهمني الله وأسعفني بتذكُّر بعض الإخوة الذين اُعتقلوا معي في سجون الاحتلال من منطقة الخليل، وقد كنتُ ما زلتُ أحفظ أسماءهم ومساجدهم، فسألتُ عن كيفيَّة الوصول إلى الخليل وركبت الباص وتوجَّهت إلى مدينة الخليل، وسألتُ هناك عن اسم أحد المساجد.

وبعد السَّير الشَّاقِّ لساعاتٍ والاستفسار والسُّؤال تمكَّنتُ من الوصول إلى المسجد المطلوب، وكنتُ في سباقٍ مع الزَّمن، وعلى الفور بدأتُ أسأل عن أسماء الأصدقاء الذين أتذكرهم، وإذ بهم من هو في السِّجن، ومن هو قد اُستشهد، وسألتُ عن شخصٍ ألهمني الله اسمه، وتوجَّهتُ فوراً إلى بيته، فأخبروني أنَّه في العمل، فأخذتُ عنوان عمله وذهبتُ إليه، وكم كانت دهشتُه عندما رآني، فهو قد سمع من قبل أنَّني مطاردٌ وتعجَّب كيف وصلتُ إلى الخليل، وهي تحت السَّيطرة الصُّهيونيَّة، وذهبنا إلى البيت وكنتُ منهكاً من التَّعب، فأخبرتُه بأنَّني متعبٌ وبحاجةٍ للنَّوم، فوفَّر لي ذلك، ونمتُ نوماً عميقاً، وذهب هو لمواصلة عمله، وعندما عاد كان وقت الأذان قد حان، فأفطرنا وكنَّا ما زلنا في شهر رمضان، وبعدها طلبتُ منه الخروج؛ لأنَّني أريد الاتِّصال بالأخوين الموجودين في البيَّارة، وبفضل الله تمكَّنتُ من الاتِّصال بهما، وكانا يعيشان مرحلةً من القلق والخوف عليَّ، فطمأنتُهم وطلبوا منِّي الإسراع في المجيء وأخذ الحاجيَّات، وقد طلبتُ من هذا الأخ وهو من عائلة القواسمي أن يوفِّر لي مأوى، ففعل ذلك.

الطَّريق إلى رام الله

ما أن وصلتُ صديقي في مدينة الخليل، حتَّى طلبتُ منه أن يوصلني في اليوم التَّالي إلى منطقة رام الله، وهناك بدأتُ رحلتي الثَّانية بالبحث عن الأشخاص الذين أعرفهم، وكان أهمُّ شخصٍ أعرفه وأتذكَّره هو الشَّهيد عادل عوض الله، الذي كنتُ أعرفه في السِّجن، فبحثتُ عنه كثيراً إلى أنْ وصلتُ إلى بيته، وبعد السُّؤال عنه أخبرني أهله أنَّه غير موجود، فأخبرتُهم أنَّني صديقٌ له جئتُ لأسلِّم عليه، وسأعود له مرَّةً أخرى، وبقيتُ في رام الله، وكان عليَّ التَّوجُّه إلى القدس، وذهبتُ إلى موقف السَّيَّارات وركبت سيَّارةً إلى حيث أبو ديس، وكان الوقت ليلاً، ولا أعرف أحداً، وكان لزاماً عليَّ أن أجد مأوى، فلم أجد سوى أنْ أتسلَّل إلى كلِّيَّة "أبو ديس"؛ لأقضي تلك الليلة متخفِّياً بين الأشجار حتَّى الصَّباح، وكان يوماً شديد البرودة، وفي الصَّباح حاولتُ الاتِّصال بمجموعة القدس حتَّى تمكَّنتُ من التَّحدُّث معهم، وأخبرتُهم أنَّني أتحدَّث معهم من القدس ومن أبو ديس بالتحديد، وخلال الحديث اطمأنوا عليَّ، وحدَّدتُ معهم مكان اللقاء ليلاً في منطقة أبو ديس في شارع الكلِّيَّة، ومن ثمَّ اتَّصلتُ بالإخوة في البيَّارة، وكان وضعهم سيِّئاً للغاية، حيث اقتحمت الشُّرطة البيَّارة وتمكَّنت من العثور على السَّيَّارة، ولكنَّ الإخوة تمكَّنوا من الفرار وقتها، ومن ثمَّ عادوا بعد ذلك إلى البيَّارة وهم ينتظرونني على أحرِّ من الجمر، وعليَّ العودة إليهم بأسرع ما يمكن، وكان هذا أصلاً ما أحاول فعله.

الشهيد القائد عادل عوض الله

ذهبتُ بعد ذلك إلى مدينة رام الله؛ لإكمال المشوار مع الأخ عادل عوض الله؛ لحاجتي الماسَّة له، فهو الأقدر على فتح السُّبل أمامي؛ لتنفيذ مخطَّطاتي التي قدمت من أجل تنفيذها، وقد تمكَّنتُ من اللقاء به، واتفقت معه على اللقاء في موعدٍ محدَّدٍ وقريب.

بين أزقَّتها تائهاً حتَّى اهتديت

الشهيد المجاهد / عادل عوض الله

كانت إحدى المشكلات التي واجهتُنا منذ دخولي إلى منطقة رام الله البحث عن المأوى، ولم أتمكَّن من التَّغلُّب على هذا الأمر، فكنتُ أقضي النَّهار في الشَّوارع والمطاعم والمساجد، وفي الليل أذهب لأداء صلاة العشاء في إحدى المساجد بمدينة رام الله، وبعد الصَّلاة أتسلَّلُ إلى الحمَّامات متخفِّياً فيها حتَّى إغلاق المسجد، ثمَّ أخرج وأنام داخل المسجد حتَّى الصَّباح، وفي الصَّباح أخرجُ إلى المدينة أتعرّف على شوارعها وأتجوَّل في محلَّاتها ثمَّ أعود إلى المسجد لأنام فيه.

استمرَّ هذا الأمر حتَّى نجحتُ في الوصول إلى مجموعة القدس والتَّعرف عليهم وكنتُ قد رأيت صورهم أثناء وجودي في قطاع غزة قبل خروجي إلى الضِّفَّة الغربيَّة، فبادرتُهم بكلمة السِّرِّ وتعارفنا على بعضنا البعض.

جلسنا نتحدَّث وشرحوا لي عن ظروفهم وأوضاعهم الصعبة، وبعد معاتبتهم على تقصيرهم اعتذروا وأخبروني أنهم أيضاً كانوا خائفين من الاتصال؛ بسبب الظروف الأمنية المعقَّدة لديهم في القدس.

وبعد الاطمئنان لبعضنا وتبادل الحديث بيننا أعلموني أنَّ مشكلتهم تكمن في عدم توفُّر مكانٍ لاستقبال أيِّ شخص، فقلت لهم: "إن هذه ليست مشكلة"، وأبلغتُهم أنَّ معي إخوة ينتظرونني في البيَّارة ولديَّ معهم أغراض كثيرةٍ، أحتاج إلى سيَّارة لنقل الأغراض من هناك وجلبها إلى الضِّفَة الغربيَّة، وسار الاتفاق على ذلك، على أن نلتقي في اليوم التالي في نفس المنطقة بعد صلاة المغرب؛ لننطلق إلى البيَّارة، ونجلب الأغراض.

قضيتُ الليل في الكلِّيَّة متنقِّلاً بين الأشجار، وفي الصباح خرجتُ أسير في الشوارع؛ لأتعرَّف على مدينة القدس، وكان أول عملٍ لي هو الاتصال بالإخوة في البيَّارة؛ ليكونوا جاهزين ليلاً في السَّاعة العاشرة والنِّصف بالأغراض؛ لأننا سننقلها إلى الضِفَّة الغربيَّة ويعودا أدراجهما إلى غزَّة، وكانت فرحتهم كبيرةً جدّاً؛ لأنَّ العيد على الأبواب، وهم يريدون العودة قبل ذلك.

المرحلة الثَّالثة من تنفيذ الخطَّة

وفي الموعد المحدَّد جاء الإخوة من القدس ومعهم السَّيَّارة، وانطلقنا بها إلى الدَّاخل المحتل، حيث مدينة أسدود والشباب في الانتظار، وكان هذا المشوار من الخطورة بمكان، وبعد البحث القليل أنزلوني في مكانٍ قريبٍ من البيَّارة، وطلبتُ منهم العودة إلى نفس المكان، وذهبتُ إلى البيَّارة، وهناك وجدتُ الإخوة ينتظرون على أحرِّ من الجمر لاستقبالي، وقد جهَّزوا الأغراض، وبعد الحديث معهم قمت بتوديعهم بحرارةٍ طالباً منهم توصيل السَّلامات الحارَّة لأهل غزَّة، والاعتذار لهم عمَّا حدث، وفور وصول السَّيَّارة تمَّ نقل الأغراض إليها، وانطلقنا إلى الضِّفَّة لنبدأ بتنفيذ الجزء الثَّالث من الخطَّة، وقد عاد الإخوة بعد ذلك إلى قطاع غزَّة.

المبحث الخامس

تنفيذ العمليَّات

أولاً: طريق المجهول وروعة الوصول "لقاء القائد محيي الدِّين الشَّريف"

بعد توديع الإخوة في البيَّارة، والتَّأكُّد من عدم إمكانية وصول الإخوة الاستشهاديِّين من غزَّة، نقلتُ العدَّة والعتاد من البيَّارة إلى السَّيَّارة، وهذا يعني إضافة عبء جديد على كاهلي، حيث توفير الاستشهاديِّين الذين سينفِّذون العمليَّات من مناطق الضِّفَّة الغربية، وقد وصلت بنا السَّيَّارة إلى الضِّفَّة في تمام السَّاعة 11:30 ليلاً بأمنٍ وسلام، رغم خطورة الطَّريق في السَّاعات المتأخِّرة من الليل، وقد استفدنا من خبرة السَّائق الكبيرة في تجاوز كلِّ الطُّرق التي فيها حواجز ومعوِّقات، فمعرفته بشوارع ومسالك الطُّرق سهَّل وصولنا إلى مرادنا.

أمَّا الذي كان يُشغلني أنَّني يجب أن أجد مكاناً لوضع العتاد فيه ويكون مأوى، فالإخوة من القدس لم تسمح لهم الظُّروف بتحقيق هذا الأمر، وفي الطَّريق تحدَّثتُ مع الإخوة على ضرورة وضع هذه الأشياء عندهم ولو ليومٍ واحدٍ أو يومين؛ حتَّى أستطيع ترتيب أموري وإيجاد مكانٍ آمنٍ لها، فأخبروني أنَّهم يستطيعون وضعها في مكانٍ آمنٍ في أحد الأماكن عندهم في المسجد القريب منهم، وهذا المكان لا يصله أحد، وهم فقط الذين يملكون مفتاح هذا المكان، فوافقتُ على ذلك؛ لأنَّني لا أملك بديلاً عن ذلك واشترطتُ عليهم مراقبة المكان طوال الوقت ومتابعته؛ خوفاً من حدوث أيِّ طارئ.

بالنِّسبة لي أخبرتُهم ألَّا يقلقوا علي، فأنا أستطيع تدبير أموري، ولكن علينا أن نحدِّد مكاناً للقاءٍ في رام الله، فأنا سأكون هناك طوال الوقت، وعليهم أنْ يأتوا هم إلى رام الله؛ لأنَّهم غير مطلوبين ويحملون هويَّة القدس التي تسهِّل لهم عملية التَّحرُّك، وجرى الاتفاق معهم على اللقاء في اليوم التَّالي، مع تأكيدي عليهم بالتواصل مع الرجل القادم من غزة، والذي سيقابلهم في المسجد الأقصى عند الشَّجرة، وهو يمثِّل حلقة الوصل مع غزَّة، حيث نتبادل الرَّسائل مع بعضنا.

أوصلوني إلى منطقة أبو ديس حيث الكلِّيَّة وودَّعتُهم وتسلَّقت سورها، وبتُّ ليلتي بين الأشجار كالعادة.

وشعرتُ في لحظةٍ من اللحظات أنَّني طرزان هذا العصر، يُشبه ذاك الذي في الرِّوايات الأجنبية والرُّسوم المتحرِّكة، التي كنَّا نقرأها ونشاهد بعضاً منها ونحن صغار، ولكن كلُّ ذلك يهون في سبيل الله، ومع بزوغ تباشير الصَّباح، كنتُ أتسلَّق سور الكلِّيَّة؛ خارجاً منها نحو رام الله؛ لمتابعة خططي وأهدافي.

البحث عن مقوِّمات النَّجاح

كان من أهمِّ ما يدور في رأسي أمران، الأوَّل: هو إيجاد استشهاديِّين، وهذا الأمر برغم صعوبته إلَّا أنَّه أسهل ما يمكن؛ لأنَّ الشَّعب الفلسطينيَّ وخاصَّةً شباب حماس بالذَّات فيهم الآلاف ممَّن يرغبون بالشَّهادة، ولكن بالنِّسبة للوضع الذي أنا فيه، حيث لا أعرف أحداً حتَّى اللحظة، ولا يوجد اتِّصالٌ بيني وبين التَّنظيم في الضِّفَّة الغربية، وكنتُ أرفض الاتِّصال بهم أساساً؛ خوفاً من حدوث أيِّ شيء، خاصَّةً وأنَّ أوضاع الضِّفَّة في تلك الأيَّام كانت غايةً في التَّعقيد والصُّعوبة، لذلك كان هذا الأمر بالنِّسبة لي صعباً؛ لأنَّني لا أستطيع أنْ أجاهر بين النَّاس بهذا الهدف النَّبيل الذي أسعى إليه.

أمَّا الثَّاني فكان يتمثَّل في توفير أو إيجاد مأوى مناسبٍ في رام الله، أستطيع الجلوس فيه ووضع العدَّة والعتاد فيه، ومتابعة خططي ومشاريعي التي أعمل من أجلها، فانطلقتُ لمقابلة القائد عادل عوض الله، فهو شخصٌ أعرفه من خلال السِّجن وأثق به جدَّاً، وكنت قد طلبت منه توفير مأوى لي، وثانياً السَّعي لإيجاد استشهاديِّين لتنفيذ العمل الجهادي ضدَّ الاحتلال.

وقد ذهبتُ إلى معهد رام الله وسألتُ عن شخصٍ من قطاع غزَّة يدرس هناك، فهو صديقٌ أعرفه من السِّجن سابقاً وأثق به، فأخبرني الطُّلَّاب أنه غير موجودٍ في المعهد الآن، وهو يصلي المغرب باستمرار في مسجد سيِّد قطب برام الله.

قيَّدتُ ذلك في دفتري الصغير، ثم انطلقت لبيت القائد عادل عوض الله، حيث كنتُ على موعدٍ معه، فخرج لي أخوه، فأخبرتُه أنني صديقٌ لعادل من السِّجن، وأنني بحاجةٍ ماسَّةٍ لرؤيته، فأخبرني أنَّه يسكن في بيتٍ منفصل،

وأنَّه سيصحبني إليه، وأخبرني أنَّه قد خرج من السِّجن منذ أسبوعين فقط، وكنتُ أعلم نتيجة معرفتي بعادل عوض الله ومدى حرصة الأمني الشَّديد، الذي يجعله لا يثق بأحدٍ بسهولة، فهو يعرفني منذ عام 1992م في السجن، ولا يعلم بعدها عنِي شيئاً، فمهمَّتي معه صعبة للغاية، وهذا من حقِّه؛ لأنَّه شخصٌ مستهدفٌ جدّاً من قبل الشَّاباك (الإسرائيلي) وكذلك من أجهزة التَّنسيق الأمني مع الاحتلال، فهو قائدٌ ورجلٌ له مكانته وكلمته في الحركة، لكنَّني لا أملك بديلاً عن اللقاء به ومصارحته.

وبالفعل توجَّهتُ إلى بيت المجاهد عادل عوض الله، وعندما وصلنا البيت رفضتُ الصُّعود، وطلبتُ من أخيه أن يصعد أوَّلاً ويُخبره بوجودي، وقد تعمَّدتُ ذلك؛ حتَّى يطمئنَّ ولا يفكِّر أنَّني قادمٌ لمعرفة مكان بيته، وفعلاً كما توقَّعت فبعد نصف ساعةٍ نزل عادل مع أخيه إلى السَّيَّارة، وعندما رآني تذكَّرني، وحسبما يبدو أنَّه قد سمع من بعض المعتقلين أنَّني أصبحتُ مطارداً، ولكنَّ هذا لا يعني أن يثق بي؛ لأنَّ ما يحدث عندنا أو نسمع به وما نراه فعلاً يجعل الشَّخص دائم الشَّك، وفعلاً سلَّمتُ عليه وعانقته، وكنتُ متأكِّداً أنَّه سيتحسَّس خاصرتي؛ للبحث عن سلاح، ولذلك تعمَّدتُ وضع سلاحي في منطقة القدم؛ لكي يطمئنَّ أكثر، وقد مازحتُه حينها بقولي له: "يا رجل، على ماذا تبحث؟، لا يوجد معي شيء"، فضحك وركب معنا في السَّيَّارة، وعدنا إلى بيت أهله، وهناك دخلتُ معه البيت وجلسنا في إحدى الغرف وحدنا، ولاحظتُ نظراته التي أعرفها وأعرف ما يقول في نفسه، ولكن كان دوري أن أعمل على طمأنته بقدر الإمكان، فبعد الحديث عن الماضي والسِّجن دخلتُ معه في الموضوع مباشرةً وقلتُ له: "بصراحة إنَّني أعلم جيِّداً أنَّك تشعر بعدم الاطمئنان من ناحيتي؛ لأنَّك منذ زمنٍ لم تَرَنِ ولم تسمع أخباري، وربَّما علمتَ أنَّني مطاردٌ ومطلوبٌ لقوات الاحتلال، لذلك ستستغرب من وجودي في الضِّفَّة، وخاصَّةً بعد استشهاد المهندس يحيى عيَّاش، وقد تستغرب أكثر أنَّني جئتُ أبحث عنك، وأعلم جيِّداً ما هو وضعك، ولكن ما دفعني إلى المجيء إليك هو أنَّني لا أعرف أحداً إلَّا أنت، حتَّى أنَّني لم أكن أتوقَّع أن أجدك؛ لأنَّني كنت أعلم أنَّك مسجون،

وأتحدَّث معك بكلِّ صراحةٍ أنَّه من حقِّك أن ترتاب ولا تطمئن، وإلَّا لن تكون عادل عوض الله الذي أعرفه وأعرف حرصه، وأعتقد أنَّك ستقلق أكثر وترتاب عندما تعلم لماذا أنا هنا، ولماذا أبحث عنك، لذلك و"دون لفٍّ أو دوران" سأتحدَّث معك في الأمر بكلِّ صراحة، وسأُطلعك على كلِّ شيء؛ لثقتي الكبيرة بك، واطمئناني إليك، وأنا على استعدادٍ لتنفيذ كلِّ ما تطلبه منِّي بعد ذلك، وأبدأ حديثي معك بإخبارك أنَّني أحمل سلاحاً، وأخرجتُ المسدَّس من قدمي ووضعتُه عنده، وأخبرتُه سبب وضعه في قدمي وسبب رفضي الصُّعود مع أخيه، وفعلاً كما توقَّعتُ، فإنَّ تأخيره حينها كان ليرى هل سأصعد خلف أخيه أم لا، وبعد هذه الأمور تحدَّثتُ معه عن نفسي ووضعي وسبب قدومي، وأنَّني لم أجد سواه لكي يساعدني، وأقلُّ شيءٍ توفير مأوى لي في رام الله أو استئجار شقة، وبعد الحديث ما يقرب ساعتين مع شعوري أنَّه ما زال قلقاً، حيث كان ذلك واضحاً في جوابه، ومع ذلك لم يتركني، وكان جوابه دبلوماسيّاً، وهو أنَّه كان في السِّجن منذ مدَّةٍ بسيطة، وليست له علاقةٌ بهذه الأمور حالياً، ولكن سيرى ماذا سيفعل، لذلك عليَّ أنْ أُمهله يومين، وحدَّد المجاهد عادل عوض الله مكاناً نلتقي فيه داخل مستشفى رام الله بجانب باب الطَّوارئ في الصَّباح، أو قد يأتي شخصٌ آخر غيره، وفي حال قدوم هذا الشَّخص وضَّح لي ماذا سيكون مرتدياً، واتَّفقنا على كلمة سرٍّ بيننا في حال قدوم هذا الشخص.

كنتُ مسبقاً أعلم أن المجاهد عادل عوض الله يريد وقتاً ليسأل عني ويطمئنَّ من ناحيتي؛ ولذلك لم أخبره أنني حاليًا دون مأوى، واكتفيتُ بما أنجزتُ من هذا اللقاء، وانطلقتُ عائداً إلى المسجد لأنام فيه، حيث كنتُ متعباً ومرهقاً.

أمضيتُ بعض الوقت في شوارع رام الله، ومع صلاة المغرب ذهبتُ إلى مسجد الشَّهيد "سيِّد قطب"؛ لمقابلة الشَّاب الغزِّي، وقد وجدتُه فاستغرب من قدومي إلى رام الله، تجاذبنا أطراف الحديث ثمَّ أخبرتُه أنني بحاجةٍ إلى مساعدته، وسألتُه إن كان لديه استعدادٌ للعمل أم أنَّ ظروفه لا تسمح، فأخبرني أنَّ ظروفه لا تسمح نهائيًّاً، لكنَّه مستعدٌّ لتقديم المساعدة لي من بعيد، فطلبتُ منه أن يعرِّفني على شابٍّ من الضِّفَّة من المعهد يكون ذا ثقةٍ ويثق به هو كما أثق به أنا، ويكون عنده استعدادٌ وحبٌّ للعمل،

فطلب منِّي مهلةً يفكِّر بالأمر ويحدِّد لي شخصاً مناسباً يحمل هذه المواصفات، وبعدها تركتُه وانطلقتُ في طريقي أحاول البحث في اتِّجاهٍ ثالث، حيث تذكَّرتُ الشَّاب الذي من الخليل من آل القواسمي، الذي ذهبتُ إليه في أوَّل وصولي إلى الضِّفَّة، واتَّصلتُ به تلفونيّاً، وأخبرتُه أنَّني غداً سأكون عنده في الصَّباح، وبعد صلاة العشاء ذهبتُ لشراء الطَّعام، وعدتُ إلى المسجد، واختبأتُ فيه، وبعد إغلاقه خرجتُ وجلستُ لوحدي ونمتُ بداخله.

مجموعة القدس ترصد الأهداف

في الصَّباح كنتُ على موعدٍ مع مجموعة القدس في رام الله، وقد جاءوا في نفس الموعد، وكانت معهم سيَّارةً، فركبتُ معهم وانطلقنا إلى الخليل، وفي الطَّريق تحدَّثنا عن أمور العمل، وكان أوَّل المواضيع وفي صدارة المشكلة عدم وجود شبابٍ استشهاديِّين، وإن كان باستطاعتهم عمل شيءٍ في هذا الأمر، وكانوا لا يستطيعون، فبدأنا الحديث حول العمل الذي سننفِّذه، وهو عبارةٌ عن اختيار عدَّة أهدافٍ وعدَّة تجمُّعاتٍ يهوديَّةٍ كبيرةٍ تتمُّ مراقبتها داخل الكيان، والأفضل أن تكون أهدافاً عسكريَّةً؛ لأنَّه ستُنفَّذ عمليَّات تفجيرٍ شديدةٍ ضدَّها، لذلك عليهم مراقبة الأوضاع واختيار الأهداف المناسبة؛ لتنفيذ العمليَّات بها، وهذه هي النُّقطة الرَّئيسة، ويجب عليهم الإسراع، وتحدَّثنا بعد ذلك عن خطط العمل بعد تنفيذ هذه العمليَّات، وكانت من بينها خطف جنودٍ من أجل الأسرى، وتحدَّثتُ معهم حول توصياتٍ بخصوص العمل، أهمُّها السِّرِّيَّة والتَّحرُّك بحذرٍ وعدم لفت الانتباه أثناء تحرُّكهم، وخاصَّةً مع بعضهم، وأن يُحافظوا على أنفسهم، وتحدَّثنا عن طرق الاتصال في حال حدوث أيِّ طارئ، وأخبرتُهم أنَّني سأضطرُّ لنقل الأغراض من مكانها إلى مكانٍ آخر، وسأعمل على توفير استشهاديِّين لتنفيذ العمليَّات.

وصلنا إلى الخليل، وهناك أنزلوني، وطلبتُ منهم العودة ليلاً في اليوم التَّالي، وفي الخليل ذهبتُ إلى بيت الشَّاب من عائلة القواسمي، وبدأنا الحديث، وطلبتُ منه المساعدة في توفير شبابٍ لتنفيذ العمليَّات، ولكنَّ الشَّاب أخبرني وشرح لي وضع

الخليل، وأنَّ هناك اعتقالات في صفوف الحركة، ولكنَّه رغم ذلك لم يرفض نهائيّاً، وكان الاتِّفاق أن أتَّصل به بعد أسبوعٍ تلفونيّاً، واتَّفقنا على كلماتٍ معيَّنةٍ إنْ قالها لي في التِّليفون يعني أنَّه استطاع توفير استشهاديين، وبذلك أنتظره في رام الله؛ لكي يأتي بهم، وبهذا انتهى حديثنا، وانتظرتُ قدوم الليل بفارغ الصَّبر، وذهبتُ أنتظر قدوم مجموعة القدس في الموعد المحدَّد، وقد أخبروني أنَّه يوجد حواجز للشُّرطة على الطَّريق؛ لأنَّ غداً يوم الجمعة، ومع ذلك وصلوا وركبتُ معهم، وانطلقنا عائدين إلى القدس، وأخبرتُهم أنَّني سأنام اليوم في القدس، ووصلنا القدس ووضعنا السَّيَّارة داخل أروقة المسجد الذي توجد به الأغراض، وهناك نزلنا في المسجد وجلسنا نتحدَّث، وشرحتُ لهم عن المتفجِّرات وكيفيَّة استخدام السِّلاح، وطلبتُ منهم العودة إلى بيوتهم وموعدنا سيكون صلاة الفجر؛ كي يوصلوني إلى رام الله، وأخذتُ منهم مفتاح السَّيَّارة ونمت يومها في السَّيَّارة حتَّى صلاة الصُّبح، وبعدها انطلقنا إلى رام الله عائدين، واتَّفقنا على أن نلتقي في نفس اليوم أيضاً ليلاً في رام الله.

في هذه الاثناء كنت على موعدٌ مع الأخ عادل عوض الله في مستشفى رام الله، وهو الموعد الثَّاني، وفي نفس الموعد كنتُ هناك، وقد حضر الأخ عادل بنفسه، وبناءً على طبيعة عادل الأمنيَّة دخلنا إلى المستشفى والتَّجوُّل كزوَّارٍ، وتحدَّثنا يومها، وقد شعرتُ في كلامه بنوعٍ من الاطمئنان، دليلاً على أنَّه قد سأل عنِّي، لذلك كان يتجاوب في الحديث أكثر من المرَّة الأولى، ولكنَّه وللاطمئنان طلب منِّي أن أذكر له اسم شخصٍ من مجموعة القدس؛ ليطمئنَّ أكثر، فرفضتُ ذلك نهائيّاً، وأخبرتُه أنَّني لا أتحمَّل مسؤوليَّة ذكر اسم أيِّ شخصٍ منهم؛ لأنَّه لا أحد يعلم بهم هنا سواي، وبعد الحديث الطَّويل أخبرني أنَّه يريد التَّأكُّد أنَّ الدَّائرة التي أعمل بها جيِّدةً وغير مخترقة، وأنَّ هذا الذي يطلبه منِّي للاطمئنان عليَّ، وقد أوقفنا كلَّ شيءٍ بيني وبينه على هذا الطَّلب، وقد كنتُ مجبراً على تنفيذ طلبه، وأخبرتُه باسم شخصٍ واحدٍ وشعرتُ بعلامات الاطمئنان على وجهه، وبعدها كان الحديث على أنَّني أريد مأوى أمكث فيه، وكذلك تأمين العتاد، واتَّفقنا على اللقاء في اليوم التَّالي

بعد صلاة المغرب، وأنْ أكون قد أحضرتُ العتاد وأنتظره حتَّى يأخذني إلى مكانٍ آمنٍ في رام الله، وفعلاً كنتُ سعيداً بهذه النتيجة، وافترقنا على هذا الاتِّفاق الذي اعتبرتُه بداية العمل والتَّعاون بيننا، وأمضيتُ الوقت الباقي في شوارع رام الله، وفي إحدى المساجد وفي الموعد المحدَّد للالتقاء بمجموعة القدس جاءوا، وقد أخبرتُهم أنَّ موعدنا غداً، وعليهم أن يحضِّروا الأمانات كافّة؛ لأنني وجدتُ مكاناً مناسباً لها، وعليهم أن يتفرَّغوا لرصد الأهداف فقط، ويومها أحضروا لي رسالةً من غزَّة كانت قد وصلتهم، إضافةً إلى بعض الأموال ثمَّ عادوا.

كما وقد كان هناك موعدٌ آخر في نفس اليوم مع الشَّاب من غزَّة، الذي يدرس في معهد رام الله، وذهبتُ إلى المسجد والتقيت به، وكان ردُّه إيجابيّاً، وأخبرني أنَّه يوجد شاب يستطيع أن يُعرِّفني عليه، وهو شابٌّ جيِّدٌ، وهو أمير الكتلة الإسلاميَّة في المعهد، واسمه محمَّد أبو وردة من مدينة الخليل، وقد أوجدنا حيلةً وطريقةً معيَّنةً؛ كي ألتقي بهذا الأخ دون تعريض الشَّاب من غزَّة لأيِّ خطر، وأيضاً ليكون بعيداً عن أيِّ شيءٍ، فأخبرتُه بأنَّ عليه إبلاغ محمَّد أبو وردة أنَّ هناك شابّاً جاء يسأل عنه في المعهد ولم يجده، وهو يريد أن يراك غداً في صلاة العشاء في مسجد "سيِّد قطب"، وهكذا حدَّدنا موعد اللقاء مع الأخ الجديد محمَّد أبو وردة، وفعلاً مع أنَّ هذا اليوم كان شاقّاً لكنَّه كان جميلاً جداً ومثمراً؛ لتحقيق بعض الأمور فيه، وكالعادة قضيتُ ليلتي في المسجد، وكنتُ أعتبرها الليلة الأخيرة، وفي الصَّباح خرجتُ إلى شوارع رام الله حتَّى موعد مجيء أخبارٍ جيِّدةٍ من طرف مجموعة القدس بالنِّسبة للأهداف، وطلبتُ منهم الحذر قدر المستطاع، وبعد ذلك طلبتُ منهم العودة، وجلستُ أنا بجانب العتاد أنتظر قدوم الأخ عادل عوض الله.

وصول عادل ومفاجأةٌ تنتظرني

جاء عادل في الموعد والمكان المحدَّدين وكانت معه سيَّارة، ووضعنا العتاد بها، وانطلقنا إلى المكان الذي سأجلس فيه، وعند وصولنا أنزلنا العتاد، وكانت المفاجأة الكبرى هناك، حيث إنني وجدتُ الأخ المجاهد المطارد آنذاك الشَّهيد محيي

الدِّين الشَّريف ينتظرني في البيت، وبعد السَّلامات الحارَّة جدّاً عليه، طلب الأخ عادل الذَّهاب، فغادر وجلستُ مع هذا الأخ المجاهد بحق، ولا أزكِّي على الله أحداً، وكان هذا هو اللقاء الأوَّل بيننا، وقد رأيتُ وضعه المعيشيَّ ولم يعجبني نهائياً؛ لأنَّه لا يوجد عنده سلاح سوى مسدَّس وكارلو، وأخبرني بوضعه الصَّعب، وصعوبة اتِّصالاته مع العالم الخارجي، وشرح لي أوضاعه التي أحزنتني، ومن ثمَّ تحدَّثتُ معه حول الخطوط العريضة لسبب قدومي إلى الضِّفَّة، وطرحتُ عليه المشكلة التي تواجهني، وهي مشكلة الاستشهاديِّين؛ لأنَّني لا أعرف أحداً هنا، وليس لي أي اتِّصال، وكان الجواب أنَّ اتِّصالاته صعبة، وأنَّه لا يستطيع أن يُقدِّم لي خدمةً في هذه المدَّة؛ لأنَّ توفير أمرٍ كهذا يحتاج لوقتٍ طويل، فأخبرتُه أنَّني سأعتمد على نفسي، ويكفي أنَّني وجدتُ مأوى أجلس فيه بدلاً من الشَّوارع والمساجد.

الشهيد المجاهد/ محيي الدين الشريف

وأخذ هو يتعرَّف على الأغراض التي معي وخاصَّةً مادَّة "TNT"، وكان لأوَّل مرَّةٍ يراها، ثم عرَّفني على ما عنده، وأطلعني على الجهاز الذي قام بصنعه، وهو جهاز تحكُّمٍ عن بُعد، وكان بالفعل جهازاً ممتازاً، وكان الشَّهيد محيي الدِّين ذا خبرةٍ كبيرةٍ في أمور الكهرباء، وقد استفدنا من بعضنا، وكان اللقاء مثمراً جدّاً، وأخبرتُه أنَّني سأضطرُّ للخروج مرَّاتٍ من البيت، وقد أُشكِّل عليه خطراً في ذلك، ومع أنَّ هذا كان صحيحاً لكنَّه من أجل العمل لم يعترض، وطلب منِّي أيضاً أنْ أفعل ما أريد، وأخبرني أنَّه يجهِّز للانتقال إلى مكانٍ آخر في مدينة بيت لحم، وأنَّه سينتظرني هناك، وأنَّه على استعدادٍ لتقديم أيِّ مساعدةٍ أحتاجها.

وقد شحنني هذا الرَّجل معنويّاً، وأخبرتُه بأنَّ عليَّ أن أخرج الآن؛ لأنه يوجد لديَّ موعدٌ مع شابٍّ في رام الله في إحدى الأماكن، وقد خرج معي هو أيضاً؛ لأنَّه كان يريد إجراء بعض الاتِّصالات التِّلفونيَّة، واتَّفقنا أنَّ يعود كل منا للبيت بمجرد إنهائه عمله، واتَّفقنا كذلك على كلمة سرٍّ وعلى كيفيَّة الدُّخول للبيت، وحدَّدنا عدد الطَّرقات على الباب، وكذلك رنِّ جرس الباب بطريقةٍ معيَّنة؛ لكي يطمئنَّ الآخر أنَّ القادم إلى البيت ليس غريباً بل هو أحدنا، وفعلاً خرجتُ إلى الموعد المحدَّد،وكان موعداً مهمّاً، تكمن أهمِّيَّته في إيجادي الحل لمشكلة توفير الاستشهاديين الذين سيقومون بتنفيذ عمليَّات الرَّدِّ على استشهاد المهندس يحيى عيَّاش.

ثانياً: كيفيَّة تنظيم فرسان عمليَّة الثَّأر

خرجتُ لهذا الموعد وكلِّي أملٌ بالله أن أتمكَّن من إنجاز شيء، وأن يوفِّقني الله فيه، فدخلتُ إلى المسجد وبعد أداء صلاة العشاء وقفتُ جانباً، فإذ بالشَّاب الذي من غزَّة يخرج من المسجد وقد رآني، ولكنَّه لم يقترب منِّي، وأشار لي من بعيدٍ على الشَّابِّ المقصود، وهذا كلُّ ما فعله، وفوراً توجَّهت أنا إلى الشَّاب وبادرتُه بالسَّلام والتَّحيَّة، وبعد الحديث التَّعارفي طلبتُ منه أن يمنحني قليلاً من وقته؛ للتَّحدُّث معه فوافق، وكنتُ قد فكَّرتُ بطريقةٍ معيَّنةٍ للحديث، وبدأتُ حديثي وكأنَّني أعرفه من قبل، وقلتُ له: "أين أنت يا رجل، لقد أتعبتني وأنا أبحث عنك حتَّى وجدتُك أخيراً"، وبدأتُ أسرد له بعض الأمور عن شخصه كنتُ قد عرفتها من الشَّاب الغزِّي، وبعد ذلك دخلتُ معه في الموضوع مباشرة، وقلت له: "إنَّ ما سأقوله لك قد يُقلقك أو يجعلك لا تطمئن، وخاصَّةً أنَّك لا تعرفني جيِّداً، ولكنَّها الظُّروف التي أجبرتني على انتهاج هذا الأسلوب لأسباب كثيرةٍ ستعرفها بعد أن تعرف ما هو الموضوع"، وقلت له أنَّني مطاردٌ من كتائب القسَّام من غزَّة، وأنَّ لقبي "أبو أحمد"، ونتيجة أنَّني غير معروفٍ في الضِّفَّة أتحرَّك بسهولة، وهذا سبب أنَّك تراني أمامك، والآن أمَّا ما يخصُّك أنت في الأمر فالموضوع أنَّ التَّنظيم أرسل لنا بعض أسماء الذين يمكن أنْ يُساعدونا في العمل إذا احتجنا لذلك، واسمك كان من ضمن الأسماء.

وتحدَّثتُ معه عن الأوضاع الأمنيَّة والاعتقالات، وأنَّ أموراً كثيرة هي التي أجبرتني على التَّعامل والاتِّصال بهذه الطَّريقة؛ حفاظاً على عدم حدوث اعتقالاتٍ جديدةٍ بناءً على توصية دائرة الاتِّصالات في التَّنظيم، وأنَّ هذا أمرٌ عاديٌّ جدّاً في الاتِّصالات التَّنظيميَّة، ومن حقِّك ألَّا تطمئن، وأنْ تقلق وترفض التَّجاوب معي، فأنت حرٌّ والأمر يعود لك، وقد أخبرني أنَّه فعلاً قلقٌ ويحتاج لبعض الوقت ليفكِّر في الأمر، وبعدها سيُعطيني ردَّه على الأمر، واتَّفقنا على أن نلتقي غداً في المسجد بعد صلاة الظُّهر، وأكَّدتُ عليه الالتزام وافترقنا، عدتُ إلى ذلك المنزل ووجدتُ الأخ محيي الدِّين الشَّريف هناك، وقد أخبرني أنَّه خلال أيَّام سيسافر إلى بيت لحم، وأنَّه قد رتَّب أموره، وسينتظرني هناك بعد تنفيذ العمل، وكان الأخ عادل عوض الله يمرُّ علينا كلَّ فترةٍ؛ ليطمئنَّ على أوضاعنا، أمَّا بالنِّسبة لما أقوم به من اتِّصال، فقد كانت أمورٌ خاصَّةٌ بي لا يعلم بها أحد، وقد كان عادل قلقاً على ما يحدث؛ لأنَّ هذا طبعه، وخاصَّةً لخروجي المتكرِّر الذي كان لابدَّ منه، أمَّا المجاهد محيي الدِّين فقد كان يتفهَّمُ الأمر؛ لانخراطه في حياة المطاردة، لكن وحسبما يبدو أنَّ الأخ عادل عوض الله كان ما يزال قلقاً، المهم أنَّني واصلتُ عملي كما هو، وقد كان لي اتِّصالٌ مع الأخ القواسمي في الخليل، ولا أعرف ماذا فعل بما طلبتُ منه، ولقد أخبرني عبر التِّليفون أنَّ الأوضاع صعبة، وطلب منِّي عدم القدوم إلى الخليل في هذا الوقت، وهذا يعني أنَّ هذا الاتِّجاه قد أُغلق، وفعلاً سمعتُ بعدها أنَّه توجد اعتقالاتٌ كبيرةٌ في مدينة الخليل، وأنَّ الأوضاع هناك غير جيِّدة، لذلك لم يبقَ أمامي سوى اتِّجاهٌ واحدٌ، وهو الأخ محمَّد أبو وردة.

الأسير المجاهد / محمد عطية أبو وردة

بشرى بالقبول

انتظرتُ حتَّى جاء الموعد المحدَّد بيني وبين الأخ محمَّد أبو وردة، فتقابلنا في المسجد بعد صلاة الظُّهر وتحدَّثنا، فأخبرني عن موافقته للمساعدة، فهو جاهزٌ للعمل، وقد أسعدني هذا الأمر كثيراً، وفوراً شرحتُ له الجزء الذي يخصُّه، وطلبتُ منه توفير شبابٍ موثوقٍ بهم، وعندهم استعدادٌ للعمل، فأخبرني أنَّه يستطيع توفير ذلك حالياً، وكان الحديث بعد ذلك عن الأجزاء الأمنيَّة التي يجب أن يتَّخذها؛ حتَّى يُحافظ على نفسه عند الاتصال بهم، وعليه إحضارهم دون أن يوضِّح لهم أيَّ شيء، ولكنَّ المهم أن يكون واثقاً بهم، ويعلم جيِّداً أنَّهم مستعدُّون للعمل، وأهمُّ شيءٍ ألَّا يراه أحدٌ نهائيّاً حين الاتِّصال بهم، ولا يعلم بذلك أحدٌ، وهذا أهمُّ شيءٍ حتَّى لا تكون حوله أيُّ شبهةٍ بعد ذلك، واتَّفقنا أن نلتقي جميعنا بعد يومين في المسجد، واتَّفقنا على ذلك، وأكَّدتُ عليه سرِّيَّة الأمر، وأن يحرص على ألَّا يراه أحدٌ عند الاتِّصال بالإخوة.

"مجموعة القدس" تمَّ تحديد الأهداف

بهذا اللقاء حقَّقتُ إنجازاً كبيراً، ولم يبقَ سوى التَّحضير للعمل، وفعلاً خلال هذه المدَّة كان لقائي مع مجموعة القدس، وقد أخبروني بما لديهم من مستجدَّاتٍ، وأنَّهم قد رصدوا عدَّة أهدافٍ (إسرائيليَّةٍ)، كان من أهمها هدفين رائعين:

الهدف الأوَّل "عبارة عن حافلة للرُّكَّاب تحمل رقم 18، تكون هذه الحافلة في صباح يوم الأحد مليئةً بالرُّكَّاب (الإسرائيليِّين)، ويكون من بينهم عددٌ لا بأس به من الجنود المتوجِّهين للخدمة في مواقعهم المختلفة".

وأمَّا الهدف الثَّاني "عبارة عن محطَّة انتظارٍ للحافلات، يتجمَّع عندها عددٌ كبيرٌ من الجنود، ينتظرون الرُّكوب؛ للتَّوجُّه إلى ثكناتهم العسكريَّة، ويكون التَّجمُّع على أشدِّه صباح يوم الأحد".

كِدْتُ أن أطير من شدَّة الفرحة لهذه الأخبار، وهذا الجهد المبارك لهذه المجموعة، التي قامت بعمليَّات الرَّصد لهذه الأهداف، وقد أخبرتُهم أنَّني وجدتُ استشهاديِّين للعمل، وأنَّ عليهم في هذا الوقت التَّركيز على رصد أهداف أخرى ومتابعة الأهداف التي رصدوها سابقاً، وطلبتُ من أحدهم زيادةً في الرَّصد، وأن يصعد يوم الأحد صباحاً إلى الباص رقم 18 دون لفت أيِّ أنظار، وأن يُشاهد كلَّ شيء، ويرى الإجراءات الأمنيَّة في الباص، وأن يشتري كرت ركوبٍ لهذه الحافلة لمدَّة شهرٍ كامل، والأخ الآخر عليه الذَّهاب إلى الهدف الآخر وهو محطَّة وقوف الحافلات، وأن يرى بنفسه ما يحدث هناك، وكيف تسير الأمور عادةً في صباح يوم الأحد، وأن يشاهد تجمُّع الجنود وكم عددهم، وكامل التَّفاصيل ، وكنتُ قد كتبتُ رسالةً إلى غزَّة؛ لتصل القائد المجاهد محمَّد الضَّيف، وشرحتُ له كلَّ ما حدث بالتَّفصيل، وأخبرتُه عن كلِّ الإجراءات والخطوات، وأخبرتُه بقرب موعد العمل، وسلَّمتُها للإخوة من مجموعة القدس؛ كي يُسلِّموها للرَّسول الذي بيننا وبين غزَّة، وحدَّدنا موعداً آخر لنلتقي.

أوَّل لقاءٍ بالشُّهداء الأحياء

مع إتمامي الخطوات السَّابقة ، لم يبقَ أمامي سوى الالتقاء بالإخوة الذين اخترناهم لتنفيذ العمليَّات الاستشهاديَّة، وفي الموعد المحدَّد للقاء ذهبتُ والتقيت بالأخ محمَّد أبو وردة، فعرَّفني على الشُّهداء الأحياء، وبعدها طلبتُ من الأخ محمَّد المغادرة؛ ليتركني مع هؤلاء الإخوة، وإذا احتجتُه سأتَّصل به في المعهد باسم ابن عمِّه، وجاء الآن دور هؤلاء الشُّهداء الأحياء، وجلستُ معهم في المسجد بشكلٍ طبيعي، وأخذنا نتحدَّث في بعض الأمور العامَّة؛ لكسر الحواجز فيما بيننا، وقد تعرَّفنا على بعضنا البعض، وبالتَّأكيد لم أعرِّفهم باسمي الحقيقي؛ تحسُّباً لأيِّ طارئ، وقد كانوا عبارة عن اثنين من الشُّهداء الأحياء، وهما الأخوين: "مجدي أبو وردة وإبراهيم السَّراحنة"، ولقد تحدَّثنا عن أمور كثيرةٍ جدّاً.

وأخبرتُهم أنَّني أعمل في كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام، وسألتُهما عن قناعاتهما بما سيُقدِمان عليه، وعن سبب حبِّهما لهذا العمل، فكان حديثهما عن اقتناعٍ كامل، وحدَّثاني عن مدى حبِّهما للعمل والجهاد والاستشهاد، وكان العمل مع الكتائب حلمٌ عندهما، وأخبراني عن أوضاعهما في البيت، وعن كلِّ شيء، وقد كان حديثاً مفصَّلاً، وأعجبني فيهما مدى حبِّهما للجهاد والاستشهاد.

ويعلم الله أنَّهما هما اللذان شحناني معنويّاً من شدَّة حبِّهما للجهاد والاستشهاد، ولم يكن هذا اللقاء طويلاً، وخاصَّةً أنَّنا في المسجد؛ لذلك لم أوضِّح لهما طبيعة العمل الذي سيقومان به بالتَّحديد، وكنتُ أريد فقط من خلال هذا اللقاء أن أتعرَّف عليهما، وأن أستمع إليهما، وأن آخذ الانطباع الأوَّليَّ عنهما، لذلك طلبتُ منهما العودة إلى بيوتهما، وأن نلتقي بعد أسبوعٍ في المسجد، على أن يأتي كلٌّ منهما ويضع في رأسه أنَّه قد يغيب عن بيته مدَّةً من الزَّمن، ولذلك على كلِّ واحدٍ منهما أن يُوجِد خطَّةً معيَّنةً يخبرها لأهله؛ كي لا يقلقوا عليه عند غيابه، وأن تكون هذه الخطَّة مقبولةً فعلاً، كالخروج للعمل مثلاً أو القيام برحلةٍ ما، وعليهم ألَّا يُخبرا أحداً بحقيقة الأمر مهما كان، بل عليهما أن يُحافظا على وضعهما الطَّبيعيِّ جدّاً، وألَّا يشعرا أحداً بأيِّ تغيُّرٍ في تصرُّفاتهما مهما حصل، وأن يعتبرا نفسيهما من الآن وصاعداً يعملان في صفوف كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام، وهذا سيكون امتحاناً لهما؛ ليعلموا أنَّهم مراقبون، ولو حدث أيُّ خرقٍ في الاتِّفاق فأنا في حلٍّ من هذا الاتِّفاق، وعليهم أن ينسوا أنَّهم قابلوني نهائيّاً، وقد عملتُ كل استطاعتي واستخدمتُ كلَّ ما أملك من مقدرةٍ؛ لكي أؤكِّد عليهم بالخصوص في هذه الأمور، وأكَّدتُ عليهم أنَّ موعدنا سيكون بعد أسبوع، ويجب ألَّا يعلم أحدٌ أنَّهم جاءوا إلى رام الله، وأنَّهم سيعودون إليها، ويجب ألَّا تُذكر كلمة رام الله نهائيّاً على ألسنتهم، وأنَّهم خلال هذا الأسبوع سيعيشون بوضعٍ طبيعيٍّ جدّاً، وعليهم أن يفكِّروا جيِّداً بما هو متَّفقٌ عليه بيننا؛ لأنَّ العمل القادم سيكون شاقّاً وخطيراً، ويحتاج لقناعةٍ كاملةٍ بالعمل؛ لأنَّهم قد يُشاركون في عمليَّاتٍ مسلَّحةٍ كثيرة، وتمَّ اختتام اللقاء على ذلك.

بذلك أستطيع القول أنَّ مشكلة إيجاد الاستشهاديِّين قد حُلَّت بإذن الله، والآن جاء دور الأعمال الأخرى، وأهمُّها: التَّأكُّد من الأهداف العسكريَّة التي رُصدت سابقاً، فقرَّرتُ الذَّهاب بنفسي لمعاينة هذه الأهداف مهما كانت المخاطر؛ لكي أطمئنَّ على الشَّباب الذين سينفِّذون العمل، وعلى كلِّ شيءٍ رسمتُه في رأسي، حيث إنَّ العمل يجب أن يُنجز خلال أسبوعين، وذلك أقصى حدٍّ له، أمَّا بالنِّسبة للأخ محيي الدِّين الشَّريف، فقد انتقل إلى بيت لحم بعد اطِّلاعه على كلِّ شيءٍ وإخباره بقرب تنفيذ العمل، وبعد مغادرته بقيتُ لوحدي في البيت مع العتاد، وكنتُ قد أعطيتُ محيي الدِّين قنبلةً يدويَّةً من القنابل التي كانت معي، وعشتُ في هذا البيت لوحدي، وكان يأتي الأخ عادل عوض الله لزيارتي مراراً، وقد دار حديثٌ بيننا، أخبرني خلاله أنَّه قلقٌ جدّاً؛ لكثرة تحرُّكاتي، خشيةً من أنْ أكون مراقباً؛ وخوفاً كذلك من الذين أتَّصل بهم أن يكونوا مخترقين، وفعلاً كان معه حق، ولكنَّني أخبرتُه أنَّني مُجبَرٌ على ذلك؛ لتسابُقي مع الزَّمن، إضافةً إلى أنَّ التَّنظيم في الضِّفَّة يعيش أوضاعاً صعبة، وقد طلبتُ توفير استشهاديين حتَّى أُخفِّف من اتِّصالاتي المتكرِّرة، وكان ردُّكم أنَّ الأمر يحتاج إلى وقت، وأنا لا يوجد عندي هذا الوقت، وأخبرتُه أيضاً أنَّه سيبقى قلقاً وغير مطمئنٍّ حتَّى تنفيذ العمل، وبعدها إن شاء الله سيشعر بالاطمئنان، وطلبتُ منه أن يكون بعيداً في هذا الوقت حتَّى أُنهي كلَّ اتِّصالاتي ونُنجز العمل، أمَّا الآن فلا أستطيع التَّوقُّف عمَّا أقوم به، وطلبتُ منه كاميرا فيديو؛ لأنَّني سأُصوِّر الاستشهاديين، وأنَّ عليه صياغة بيانٍ ممتازٍ؛ لكي يقرأه الشهداء الأحياء حين تصويرهم، وبعد نقاش في هذا الأمر وافق على ذلك.

معاينة الأهداف قُبيل التَّنفيذ

انتظرتُ بفارغ الصَّبر موعد مجموعة القدس، وفعلاً حضروا في الموعد، وكانت أخبارهم جيِّدةً في التَّأكيد على الأهداف ودقَّتها، ولذلك طلبتُ منهم أن أذهب معهم يوم الأحد؛ لمعاينة الأهداف بنفسي؛ ولكي أرى كلَّ شيءٍ على طبيعته، وطلبتُ منهم استئجار بيتٍ في القدس؛ لأنَّنا سنحتاجه بعض الوقت، وفعلاً هذا ما حدث، وخرجتُ يوم الأحد صباحاً، وكان ذلك قبل العمليَّات بأسبوع،

وذهبتُ لموقف الجنود، ورأيتُ كلَّ شيءٍ بنفسي، وخاصَّةً لحظة انتظار الجنود رأيتُها تماماً، ورأيتُ كيف أنَّهم يتجمَّعون بكثرةٍ في هذه المحطَّة، وقد اطمأننتُ على ذلك، وحمدتُ الله كثيراً أنْ وفَّق إخواني لرصد مثل هذا الهدف.

وكان الاتِّفاق مع مجموعة القدس أنَّ تنفيذ العمل سيكون في الأسبوع القادم يوم الأحد صباحاً، وأنَّ عليهم الإسراع في استئجار بيتٍ في القدس، وحدَّدتُ معهم موعد اللقاء، وكان يوم الثُّلاثاء، أي قبل تنفيذ العمل بخمسة أيَّام، وكنتُ قد التقيتُ بالشُّهداء الأحياء قبل موعد تنفيذ العمل بستَّة أيَّام، التقيتُ بهم كما كان متَّفقاً بيننا، وقد أخذتُهما يومها إلى صالون حلاقةٍ وطلبتُ من الأخ مجدي أبو وردة أن يحلق شعره بقصَّةٍ أجنبيَّةٍ ومن الأخ إبراهيم السَّراحنة أن يحلق شعره على الصفر تماماً.

يوميَّات شهيد

بعد ذلك توجَّهتُ معهما إلى البيت الذي أمكث فيه، وبقيا معي في هذا البيت طوال الفترة، ولم يخرجا منه إلَّا يوم تنفيذ العمليَّات، وقد كانت الحياة مع هذين الشَّهيدين الحيَّين فريدةً من نوعها، ولها طابعٌ خاص، فقد تحدَّثتُ معهما عن طبيعة العمل الذي سيقومان به بالتَّفصيل، وأنَّه عملٌ استشهاديٌّ خالصٌ لوجه الله الكريم، وكم كانت فرحتهما بذلك، وقد قضيا طوال هذا الوقت في تعبُّدٍ وذكرٍ لله عزَّوجل، وكانا يصومان النَّهار ويقومان الليل، ويتدرَّبان على استخدام السِّلاح نظريّاً، وقد تأكَّدتُ من التزامهما بكلِّ شيء، وأنَّهما لم يُخبرا أحداً، ولم يشعر بهما أحد، فكلُّ واحدٍ منهما أخبر أهله قصةً مختلفة، حيث إنَّ أحدهما أخبر أهله أنَّه ذاهبٌ إلى رحلةٍ مع شباب المسجد، وأنَّه سيغيب أسبوعاً أو أكثر، والأخ الآخر أخبر أهله أنَّه ذاهبٌ للعمل في الخليل وسيغيب فترةً طويلة، وقد أسعدتني هذه الأخبار، وقمتُ بخدمتهما طوال الفترة، فكنتُ أطبخ لهما وأسلِّيهما بقدر المستطاع، وكانت أياماً جميلةً قضيتُها مع شبابٍ ينتظرون الشَّهادة، فكانا شهيدين بمعنى الكلمة، هما من رفعا معنوياتي، وهما من أعطياني دروساً في حبِّ الجهاد والاستشهاد

والتضحية، كانا حريصين جدّاً على الاستشهاد، محبيَّن للعمل رغم ثقافتهما المتواضعة، لكنهما كانا أساتذةً في فنِّ التَّضحية، وما زلتُ أذكر لحظاتي معهما، وقد أخذتُ عليهما عهداً أن أكون ممن يشفعان له يوم القيامة، وأبلَّغتُهما سلاماتٍ حارَّةٍ للشُّهداء في الجنَّة، خاصَّةً الشَّهيد المهندس يحيى عيَّاش، وحمَّلتُهما أمانةً عزيزةً جدّاً، ألا وهي السَّلام على رسول الله "صلَّى الله عليه وسلَّم"، وقد ألحَّا عليّ لمعرفة اسمي، فرفضتُ ذلك رفضاً مطلقاً، وبذلك وصلنا إلى المرحلة الأخيرة، وهي تنفيذ العمليَّات.

ثالثاً: "ساعة الصِّفر" وبَدء تنفيذ العمليات

كلُّ شيءٍ أصبح جاهزاً ومُعدّاً له إعداداً جيِّداً، وكان هناك شخصٌ سيصطحب الاستشهاديَّ الأوَّل بسيَّارته لموقع تنفيذ العمليَّة الأولى، حيث الحافلة على طريق رقم 18 بمدينة القدس، وسائقٌ آخر سيقوم بتوصيل الاستشهاديِّ الثَّاني إلى المكان المحدَّد له، وأخبروني أنَّهم استأجروا بيتاً في القدس، وهو جاهزٌ لكي أنتقل إليه، وأخبرتهم أنَّنا نريد شراء ملابس للاستشهاديِّين، إحداها مدنيَّةً والأخرى عسكريَّة، وأعطيتُهم المقاسات المناسبة؛ حتَّى يقوموا بتجهيز كامل التَّفاصيل، واتَّفقنا أن يكون موعدنا يوم السَّبت صباحاً، أي قبل تنفيذ العمل بيومٍ واحدٍ ليأتوا لأخذي والشهيدين الحيَّين إلى البيت الذي تمَّ استئجاره في القدس؛ ليكون الانطلاق من هناك.

ثمَّ افترقنا على أنْ نلتقي يوم السَّبت بعد صلاة الفجر، وعدتُ إلى البيت؛ لكي أجهِّز باقي الأمور، وكنتُ قد تمكَّنتُ من إحضار كاميرا الفيديو؛ لتصوير الاستشهاديَّين صوراً جماعيَّةً وأخرى فرديَّة، إضافةً إلى تصويرهما وهما يقرآن البيان ويذكران وصاياهما وهما يحملان السِّلاح، وقد طلبتُ منهما كتابة وصيةٍ خطِّيَّةٍ؛ لكي أوصلها إلى بيتيهما، حتَّى جاء يوم التَّنفيذ، وانطلقنا جميعاً، وقد أخذتُ العتاد اللازم وكمِّيَّة المتفجِّرات المطلوبة، والتقينا مع مجموعة القدس، وركبنا معهم إلى البيت المستأجر في القدس، وهناك نزلنا طلاباً.

وأمضى الشهيدان اليوم الأخير لهما في هذه الدُّنيا الزَّائلة في الصَّلاة وقراءة القرآن، وفي الليل جلسنا ووضعنا اللمسات الأخيرة، وتمَّ تحديد مواقع العمل.

مكان تنفيذ عملية الشهيد إبراهيم السراحنة

فكان هدف الاستشهادي إبراهيم السَّراحنة هو الهدف العسكري، أما الاستشهادي مجدي أبو وردة فكان هدفه هدفاً أمنياً في محطَّة الباصات، وقد جهَّزنا المتفجِّرات بطريقةٍ معيَّنةٍ وتم تركيب الصَّواعق وتوصيل كلّ شيء، وحدث هذا أمام الاستشهاديَّين، وأخبرتهما بكيفيَّة القيام بالتَّفجير، وكانت المتفجِّرات موضوعةً في حقيبتين بعد استخدام التَّمويه، بحيث لا تكون ظاهرة، ويخرج من كلِّ حقيبةٍ سلكٌ يحتوى على كبستين، إحداهما كبسة أمان والأخرى كبسة تفجير، وأخبرتهما أنَّه عند وصولهما للهدف عليهما فوراً فتح كبسة الأمان، وتبقى كبسة التَّفجير تحت اليد مباشرةً، وعلى كلِّ واحدٍ منهما أن يحمل حقيبة المتفجِّرات بشكلٍ طبيعيٍّ جدّاً على كتفه، وكانت كبسة التَّفجير مخبأةً جيِّداً؛ حتَّى لا تظهر، وما عليه سوى الضَّغط عليها عند الوصول إلى الهدف ليحدث الانفجار، وأوصيتهما بالتَّفجير في وسط الهدف، إضافة لتسليمي لهما بعض المال، وأخبرتهما أنَّ أهمَّ شيءٍ أن يكون وضعهما طبيعيّاً، ولا يشعر بهما أحدٌ؛ حتَّى -لا سمح الله- لو حدث أيُّ عطلٍ عند التَّفجير ما عليهما سوى الانسحاب بهدوءٍ من المكان ووضع الحقيبة في مكانٍ ما وتغيير المكان ومغادرة دولة الكيان فوراً، وأهمُّ شيءٍ التَّخلُّص من الحقيبة، وأجملنا الأمر بتوصياتٍ لكامل التَّفاصيل، وفرض احتمالاتٍ مُتعدِّدةٍ، وطرح حلول لها،

مكان تنفيذ عملية الشهيد إبراهيم السراحنة

والتَّأكيد على أنَّه لا يحدث التَّفجير إلَّا عندما يكون الوقت مناسباً، وهناك ازدحام، وأن يكون الجلوس أو الوقوف في منتصف الهدف، وبعدها سلَّمتُ عليهما وودَّعتُهما وعدتُ إلى رام الله ليلاً، وقد أوصلني الأخ أكرم القواسمي، وحدَّدتُ معه طريقةً للاتِّصال بعد العمليَّات، وموعد اللقاء بيننا، وهو ثالث يومٍ بعد تنفيذ العمليَّات، ووصلتُ إلى رام الله وذهبتُ مباشرةً إلى البيت الذي كنتُ أمكث فيه.

مكان تنفيذ عملية الشهيد مجدي أبو وردة

وكانت هذه ليلةً من أصعب الليالي التي مرَّت عليَّ، وقضيتُها ساهراً مصلِّياً وداعياً الله أن يكتب للشَّباب التَّوفيق، وبقيتُ مستيقظاً حتَّى الصَّباح، وقد وضعتُ جهاز الرَّاديو بالقرب منِّي، ومع اقتراب موعد أخبار السَّاعة السَّادسة والنِّصف صباحاً على صوت "إسرائيل"، وإذ بهم يقطعون الأخبار مُعلنين حدوث انفجارٍ كبيرٍ في القدس، وذلك يوم الأحد بتاريخ 1996/2/25م، ويا الله كيف كان شعوري وقتها، وعلى الفور سجدتُ لله شاكراً وباكياً من شدَّة الفرح، وجلستُ أسمع التَّفاصيل وأنتظر سماع الخبر الآخر، وفي السَّاعة السَّابعة إلَّا ربع كان الإعلان عن الانفجار الثَّاني، وحينها سالت دموعي بغزارةٍ وانتابني شعورٌ لا يمكن وصفه، وصلَّيتُ لله شاكراً، وقد كان يوماً من أصعب الأيَّام على الصهاينة المحتلين كما قيل في الأخبار، وبذلك نُفِذت أوَّل عمليَّتين بنجاحٍ وتوفيقٍ من الله.

مكان تنفيذ عملية الشهيد مجدي أبو وردة

رابعاً: تنظيم منفذ العمليَّة الثَّالثة "رائد الشَّغنوبي"

بعد تنفيذ العمليَّات بنجاحٍ والحمد لله، فرضتْ دولة الكيان منع التِّجوال، وأغلقت قطاع غزَّة والضِّفَّة والقدس، وكانت الأوضاع في غاية التَّوتُّر والخطورة، وبدأت قوَّات الاحتلال والسُّلطة الفلسطينيَّة على حدٍّ سواء بحملات اعتقالاتٍ واسعةٍ وعشوائيَّة، ومع ذلك كنَّا مصمِّمين على تنفيذ العمليَّة الثَّالثة مهما كانت الظُّروف؛ لأنَّني كنتُ على يقينٍ أنَّ هذه العمليَّة ستشكِّل تحدِّياً كبيراً لدولة الكيان ولسياستها ولإغلاقاتها ولحملة الاعتقالات التي تشُنُّها، وكنتُ أرغب في توصيل رسالةٍ قويَّةٍ إلى دولتهم المزعومة "إسرائيل"، مفادها أنَّ كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام لا يمنعها الإغلاق ولا الحصار مهما كان نوعه عن تنفيذ العمليَّات العسكريَّة متى أرادت.

اختيار فارس العمليَّة الثَّالثة

على عجلٍ اتَّصلتُ بالأخ محمَّد أبو وردة في المعهد، وطلبتُ منه الحضور إلى المسجد بعد أخذه الاحتياطات الأمنيَّة كافَّة، وتقابلنا هناك وأخبرتُه أن يبقى وضعه طبيعيّاً جدّاً، وألَّا يعود إلى منطقة سكناه؛ خوفاً من الاعتقالات العشوائيَّة، وعليه ألَّا يُثير حوله أيَّ شكوك، خاصَّةً أنَّه لا أحد يعرفه سواي، وطلبتُ منه أن يبذل كلَّ جهده لإيجاد استشهاديٍّ جديد، والحمد لله كان الأمر سهلاً، فأخبرني بوجود شابٍّ ثقة، وذو أخلاقٍ عالية، ويتشوَّق للاستشهاد، فطلبتُ منه إحضاره لأقابله في المسجد؛ لكي أتعرَّف عليه، ومع أنَّني لم أكن أحبِّذ أن يكون الشَّهيد من المعهد ولكنَّ الوضع فرض عليَّ ذلك، بالفعل حضر الأخ وجاء إلى المسجد، فتعرَّفتُ عليه، وكان اسمه "رائد الشَّغنوبي"، وطلبتُ من الأخ محمَّد أبو وردة العودة إلى المعهد بعدما اتَّفقنا معه على كلِّ شيء، وخاصَّةً أن يبقى في المعهد ولا يُغادره.

أمَّا بالنِّسبة للشَّهيد رائد الشَّغنوبي فهو شابٌّ يبلغ من العمر 23 عام، مؤدَّبٌ وخلوق، تعرَّفتُ عليه وتحدَّثتُ معه، ويعلم الله كم أُعجبت به وبذكائه وحبِّه للجهاد والاستشهاد، والغريب أنَّه يعشق شيئاً اسمه الاستشهاد في سبيل الله،

ويتمنَّى أن يكون الدَّور عليه، وهذا ما لمستُه من خلال تعاملي مع هؤلاء الشُّهداء، فكم كانت فرحة الاستشهاديِّ رائد عندما علم بأنَّه يتحدَّث مع مطاردٍ قسَّاميٍّ، وأنَّني أريد أن أكلِّفه بعمليَّةٍ جهاديَّةٍ استشهاديَّة، واعتبر أنَّ هذا اليوم هو أسعد أيَّام حياته، لذلك طلبتُ منه أن يعود غداً لأهله في نابلس، وأن يودِّعهم، وأكَّدتُ عليه أن يمكث عندهم ويغادرهم وكأنَّه عائدٌ إلى دراسته، ولا يشعر به أحدٌ أو يعرف أحدٌ بأيِّ أمورٍ أخرى، واتَّفقنا أن نلتقي يوم السَّبت ظهراً، أي قبل العمليَّة الثَّالثة بيومٍ واحد.

بعد تنظيم هذا الاستشهادي كان لي لقاءٌ مع مجموعة القدس كما ذكرتُ سابقاً، وكان اللقاء بعد ثلاثة أيَّامٍ من تنفيذ العمليَّتين الاستشهاديَّتين، وكنتُ أتوقَّع ألَّا يتمكَّنا من الحضور؛ بسبب الإغلاقات، لكن نظراً لأنَّهما يحملان هويا (إسرائيليَّة) فقدجاءا في الموعد المحدَّد، وهذا كان بتوفيقٍ من الله أوَّلاً وأخيراً، ومن شدَّة فرحتي بهما وبما حققا من عملٍ استقبلتُهما بالمعانقة والقُبُلات، وقد دعوتُهما إلى مطعمٍ لتناول الطَّعام في رام الله، وبعدما انتهينا من تناول الطَّعام أخذنا نتحدَّث عمَّا حصل، وقد أخبراني بمعنويَّات الشَّهيدين العالية، وكيف كان توصيلهما إلى موقع العمليَّة، وقد أخبرني المجاهد أكرم القواسمي الذي كان مكلَّفاً بتوصيل الاستشهادي إبراهيم السَّراحنة إلى الهدف في عسقلان أنَّهما وهما في الطريق سمعوا في الأخبار بحدوث الانفجار الأوَّل في القدس، فما كان من الاستشهاديِّ إبراهيم إلَّا أن طلب من الأخ أكرم الإسراع، قائلاً له: "لقد سبقني مجدي إلى الجنَّة".

وبعد هذا الحديث المُمتع أخبرتُهما أنَّنا نريد تنفيذ العمليَّة الثَّالثة يوم الأحد مباشرةً؛ لكي تكون تحدِّياً واضحاً للمخابرات (الإسرائيليَّة)، فكان ردُّهما أنَّ هذا الأمر صعبٌ في هذه الأوضاع الخطيرة، ولا يوجد هدفٌ محدَّد، وبعد الحديث الطَّويل في هذا الموضوع وتصميمي على تنفيذ العمل وافق الإخوة على ذلك، واتَّفقنا على أن يكون التَّفجير في حافلةٍ تسير على نفس الطَّريق رقم 18 بمدينة القدس؛ لأنَّ اليهود يستبعدون كلِّيَّاً تنفيذ العمل في نفس الخطِّ مرَّةً ثانيةً خلال أسبوع، إضافةً إلى أنَّه تحدٍ لجميع إجراءاتهم الأمنيَّة وتوقُّعاتهم، فكان الاتِّفاق على ذلك.

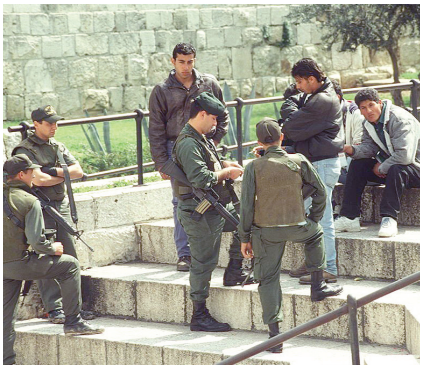

تأهب قوات الاحتلال بعد تنفيذ العمليتين

واتَّفقنا أن نلتقي يوم السَّبت ليلاً في رام الله؛ كي يأخذوا الاستشهاديِّ ويوصلوه إلى الهدف في صباح يوم الأحد، وافترقنا على ذلك بعد التَّأكيد عليهما، وأن يحتاطا من الاعتقالات، وبذلك تجهَّز كلِّ شيءٍ لهذه العمليَّة التي كنتُ أعتبرها أهمَّ العمليَّات لهذا الأسبوع، وجاءني الأخ عادل عوض الله إلى البيت الذي كنتُ أسكن فيه؛ لكي يطمئنَّ عليَّ ويسمع أخباري، ويوجِّه لي بعض النَّصائح، وقد صارحني يومها بالشُّكوك التي كانت تراوده، والتي لم تنتهِ إلَّا بعد تنفيذ العمل، وقد أخبرني بخطورة الأوضاع وبالاعتقالات التي تنفِّذها السُّلطة، وأنَّه أحد المطلوبين للسُّلطة، وأخبرتُه عن موعد تنفيذ العمليَّة الثَّالثة، وقد استهجن الأمر، واعتبرني متهوراً؛ لصعوبة الأوضاع، ولكنَّني أخبرتُه أنَّ كلَّ شيءٍ جاهز، فما كان منه إلَّا أنْ صمت على مضض.

بشارةٌ تسبق الشَّهادة

جاء اليوم المُحدَّد لاستقبال الاستشهاديِّ رائد، حيث تقابلنا في المسجد وأخذتُه إلى البيت، وتحدَّثتُ معه عن تفاصيل المهمَّة، وحدَّثني عن نفسه وأهله حديثاً كثيراً، وأخبرتُه بمهمَّته وموعدها، وطلبتُ منه النَّوم لبعض ساعات؛ لأنَّني سأحضِّر الطَّعام؛ لكي نأكل معاً، وفعلاً حضَرتُ صينيَّة معكرونة باللحمة، وقبل المغرب أيقظتُه وجلسنا نتناول الطَّعام، وعندما وضع يده ليأكل وإذ به ينتفض، وأخذ يبكي، فاعتقدتُ أنَّه قد ضعُف أو تراجع، وإذ به يُخبرني وأنا في ذهولٍ تامٍّ بأنَّه رأى في المنام أنَّ السَّماء قد فُتحت له، وخرج منها نورٌ شمله، وقد أخذه معه، وإذا بوجهه مستبشراً، ويعلم الله كم أنَّني شعرتُ بقشعريرةٍ في جسدي، وتخيَّلت أنَّني أرى أمامي ملاكاً، وأخبرني أنَّه لن يأكل؛ لأنَّ هذا طعام الدُّنيا، وهو سيأكل في الجنَّة، ثمَّ صرخ قائلاً: "أريد أن أفتِّتهم، أريد أن أَقتل أكبر عددٍ منهم، أريد أن أستشهد

في سبيل الله"، ورفض الأكل بتاتاً، وبعد أن هدأ تحدَّثتُ معه، وصوَّرتُه وجهَّزتُ المتفجِّرات أمامه، وعلَّمته كيف يتصرَّف كما حدث مع الاستشهاديَّين السَّابقَيْن، وطلبتُ منه كتابة وصيَّته، وبعد ذلك انطلقنا؛ لكي نلتقي بمجموعة القدس، وقد جاءوا في الموعد وسلَّمتهم الاستشهادي، بعد أن ودَّعتُه وداعاً حارّاً، وطلبتُ منه أن يشفع لي، وأن يُوصل سلامي إلى رسول الله "صلَّى الله عليه وسلَّم"، وللشُّهداء وخاصَّةً الشَّهيد المهندس يحيى عيَّاش، واتَّفقتُ مع مجموعة القدس على كامل التَّفاصيل، وخاصَّةً موعد اللقاء بعد العمليَّة وطريقة الاطمئنان عليهم، وقد انطلقا بالاستشهادي وعدتُ أنا إلى البيت، وكما قضيتُ الليلة السَّابقة لتنفيذ أوَّل عمليَّتين، قضيتُ تلك الليلة، وفي الصَّباح حيث يوم الأحد بتاريخ 3/3/1996م، وعندما سمعت الأخبار بحدوث الانفجار، وكانت عمليَّةً كبيرةً جدّاً، أدَّت إلى وقوع قتلى وإصابات بين ركَّاب الباص، سجدتُ لله سجدة شكرٍ طويلة، وحمدتُه حمداً كثيراً أن وفَّقني وإخواني في تنفيذ تلك العمليَّات، وبذلك أخذنا الثَّأر لدماء الشَّهيد المهندس يحيى عيَّاش بنجاح، وقد كانت ردَّة فعل الكيان والسُّلطة على هذه العمليَّة كبيرةً جدّاً، وكانت هذه الأوقات من أصعبها التي تعرَّضتْ لها حماس ونحن على وجه الخصوص، حيث شُدِّد الحصار، وأصبحتُ عاجزاً عن الانتقال من قريةٍ إلى قرية، وبهذه العمليَّة اعتبرتُ أنَّ مهمَّتي الرَّئيسيَّة قد انتهت، ولكن ما جاء بعد ذلك كان خطيراً ومهمّاً جدّاً.

مكان تنفيذ عملية الشهيد / رائد الشغنوبي

المبحث السَّادس

ما بعد العمليَّات حتَّى الاعتقال

أولاً: الاحتلال والسُّلطة يحكمون القبضة

بعد تنفيذ العمليَّات الاستشهاديَّة الثَّلاث بنجاحٍ بعد فضل الله، كنتُ قد هيَّأتُ نفسي لكل الاحتمالات، وكنتُ قد أكَّدتُ على جميع الإخوة الذين لهم اتِّصالٌ معي أن يحتاطوا جيِّداً، وكنتُ مطمئنّاً على جميع الأمور، ولم يكن يُقلقني سوى غزَّة وما يحدث فيها من اعتقالاتٍ موسَّعةٍ تقوم بها السُّلطة الفلسطينيَّة هناك، لأنَّه بعد العمليَّة الثَّالثة ازداد الوضع سوءاً، وتعرَّضتْ الحركة لأكبر عمليَّات اعتقالاتٍ نفَّذتها قوَّات الاحتلال وأجهزة السُّلطة، وللأسف علمتُ أنَّ السُّلطة في غزَّة قد تمكَّنت من معرفة مكان وجودي في الضِّفَّة بعد جولات التَّحقيق التي نفَّذتها على عددٍ من إخواني، فازداد التَّضييق وملاحقة السلطة وقوات الاحتلال لي، وقد كان لي موعدٌ جديدٌ مع مجموعة القدس، ولكنَّهم لأوَّل مرَّةٍ لم يأتوا في الموعد، وحاولتُ الاتِّصال بهم، ولم أتمكَّن من ذلك، وحينها شعرتُ أنَّه حصل شيء، وبذلك انقطع اتِّصالي مع مجموعة القدس ومع غزَّة، التي كانت تعيش أوضاعاً مأساويَّة، وممَّا زاد الأمر سوءاً معرفتي باعتقال السُّلطة للأخ محمَّد أبو وردة بعد العمليَّة الأخيرة بأسبوع، وقد تحدَّث الأخير في التِّلفاز تحت ضغط السُّلطة واعترف بكلِّ شيء، وقال أنَّ الذي نظَّمه شخصٌ مطاردٌ اسمه "أبو أحمد" وهو يقصدني بالطَّبع، وأنَّه قد اعترف على الشَّاب الذي أوصله إلي، وهو من سكَّان مدينة رفح، وهذا الشَّاب يعرفني جيِّداً، لكنَّني لم أكن أعلم بكلِّ ذلك.

الأسير المجاهد / محمد أبو وردة في سجون السلطة

كانت السلطة قد اعتقلت المجاهد محمد أبو وردة، وكنت حينها خارجاً وأنا مطمئنٌ فلا أحد يعرفني، فخرجتُ إلى وسط رام الله؛ لإجراء بعض الاتِّصالات وسماع أخبار النَّاس، وعندما عدتُ جاءني عادل عوض الله وهو الذي أخبرني بذلك،

وكانت هذه الأخبار كالصَّاعقة قد نزلتْ عليَّ، ويومها كان القائد عادل متخفٍ؛ لأنَّ السُّلطة كثَّفت البحث عنه، وكان حالقاً لحيته، ودائماً ما كان يذكِّرني بأخذ الحيطة والحذر وينصحني بتقليص تحرُّكاتي واتصالاتي، وخاصَّةً عندما علم أنَّني كنت خارج البيت بغرض ذلك، وقد تكفَّل الأخ عادل عوض الله بتوفير ما أريد من اتِّصالٍ وأماكن حماية، وكانت الفكرة المطروحة هي إيجاد طريقةٍ لخروجي من رام الله، فوضعنا كان في غاية الصُّعوبة والتعقيد، وكلُّ يومٍ تحصل مداهماتٌ واعتقالاتٌ لشباب الحركة ليلاً ونهاراً، وحتى البيت الذي كنتُ متواجداً فيه كان معرَّضاً للمداهمة وتعرَّض أهلي في غزَّة لجميع أنواع المداهمات والمراقبة والاعتقالات، فقد سلَّطت السُّلطة على أبناء غزَّة وحركة حماس والكتائب أبشع أنواع التَّعذيب والاعتقالات التي طالت الجميع، حتَّى من لم يكن له علاقةٌ قويَّةٌ بالحركة، وتعرَّض الجميع لأبشع أنواع التَّحقيق.

اعتقال المجاهد محمَّد أبو وردة

كان هذا هو الأمر الأهم، كيف كان اعتقال محمَّد أبو وردة بهذه السُّرعة؟

فقد حيَّرني حتَّى عرفتُ الحقيقة، وثبتَ أنَّ ما حدث ليس له علاقةٌ بي، ولا بتقصيرٍ من جهتي، وعندما علمتُ الحقيقة كم تمنَّيتُ أن يعلم الأخ عادل عوض الله بذلك، ولكن يومها كنتُ معتقلاً وهو مطارد، والحقيقة أنَّ محمَّد أبو وردة التزم بما أمرتُه به، وكان وضعه طبيعيّاً، ولم يشكَّ به أحد، ولكنَّ الاستشهاديَّ مجدي أبو وردة كان له صديقٌ متعاهدٌ معه على الشَّهادة، وعندما جاءت الفرصة لمجدي أحبَّ أن يكون صديقه معه في الجنَّة فأخبره بما هو مقدمٌ عليه، والتقط له صورةً معه، وذكر له اسم الأخ محمَّد أبو وردة الذي نظَّمه، وطلب منه عند سماع نبأ استشهاده أن يُوصل الصُّور إلى أهله، وأن يطلب من محمَّد أبو وردة توصيله لي؛ ليقوم بالعمليَّة القادمة؛ ليلحق بصديقه في الجنَّة، ولم يُخبرني الأخ مجدي بذلك قبل استشهاده، ويعلم الله لو أنَّه أخبرني لكان من الممكن إيجاد حلٍّ لذلك، ولكنَّ الأخ استشهد وسرُّه معه،

وحاصر الجيش الصُّهيوني منطقة سكن الشَّهيدين وكان اعتقال صديق الشَّهيد مجدي الذي كان من ضمن من اُعتقل من الشَّباب في تلك الحملة، وهو صغيرٌ في السِّن، ولم تكن له خبرةٌ في التَّحقيق، واعترف على الأخ محمَّد أبو وردة الذي اعتقلته السُّلطة الفلسطينيَّة هو الآخر، تحت غطاء التَّعاون الأمنيِّ بينهم، وتعرَّض إلى أبشع أنواع التَّحقيق، وحقَّقت المخابرات الفلسطينيَّة وكذلك الصهيونيَّة معه، وأجبروه على قول ما قاله على شاشة تلفاز فلسطين، وبذلك أصبحتُ أنا معروفاً، وحتَّى المكان الذي أختبئ به أصبح شبه مكشوف، وبدأت حملة المداهمات والتفتيش عنِّي في كلِّ مكانٍ وكلِّ بيتٍ هناك.

ثانياً: مطاردتي من رام الله إلى بيت لحم، واضطراري الانتقال لمدينة الخليل

كما قلتُ سابقاً، فقد كانت الأوضاع في رام الله شديدة الخطورة على الجميع، حيث لم يبقَ بيتٌ إلَّا ودوهمُ واعتُقل من فيه من الشَّباب، وكذلك اعتقال الكثير من شباب الحركة وقيادتها، والتَّحقيق معهم دون رحمة، وكثيرٌ منهم نُقل إلى المستشفى نتيجة التَّحقيق البشع الذي مورس بحقهم، ومكثتُ أنا في البيت الذي أختبئ فيه، وكنتُ متَّخذاً كافَّة الاحتياطات، وكنتُ أظلُّ طوال الليل ساهراً مترقباً ما يحدث، ومستعدّاً لما قد يحدث –لا سمح الله– ولم يكن يزورني سوى الأخ عادل عوض الله متخفِّياً؛ لكي يطمئنَّ عليَّ ويُحضر لي الطَّعام ويُزوِّدني بالأخبار، حيث مكثتُ شهراً كاملاً منذ حدوث العمليَّات وحملة الاعتقالات والمداهمات، وفي ظلِّ هذه الأوضاع، وفي آخر ليلتين، وفي السَّاعة الواحدة ليلاً اقتحمت السُّلطة البيت الذي يأويني، وكان ظنِّي أنَّهم عرفوا مكاني، وقد تمكَّنتُ من القفز من البيت والاختباء بين الأشجار ومراقبة ما يحدث، وكان بإمكاني إطلاق النَّار، ولكن كان هذا آخر ما أفكِّر فيه مع أبناء جلدتي "وسلطتنا الموقَّرة العميلة"، وتبيَّن أنَّهم حضروا لاعتقال أحد أفراد العائلة الذين يسكنون في الطَّابق العلوي، وأخذوه وانصرفوا، وعدتُ ثانيةً إلى البيت، وقد قرَّرتُ الانصراف من هذا البيت، ولكن كان عليَّ الانتظار حتَّى قدوم الأخ عادل، وبالفعل جاء بعد يومين وأخبرته بما حدث، وأخبرني

أنَّه قادمٌ لنقلي إلى مكانٍ آخر؛ لأنَّ صاحب البيت اُعتقل وأُخضع للتحقيق، وقد نُقل في نفس يوم اعتقاله إلى المستشفى؛ جرَّاء ما مورس معه في التَّحقيق، وفي نفس اليوم الذي خرجتُ منه كان اقتحام عناصر السُّلطة للبيت ليلاً، وكان يرأس تلك الحملة "جبريل الرجوب"، وبحمد لله لم يجدوني هناك، ولكنَّهم وجدوا آثاراً لي، وتمكَّنتُ من الانتقال إلى بيتٍ آخر كنتُ أقضي فيه النَّهار، وفي الليل أنتقل إلى الجبل حتَّى الصَّباح، ومرَّتْ عليَّ عدَّة أيَّامٍ وأنا على هذا الوضع، وقد كان الوضع صعباً والتَّنقُّل فيه أصعب.

وكان الأخ عادل يتنقَّل في حقلٍ من الألغام، معرِّضاً نفسه للمخاطر؛ لأنَّه كان مطلوباً، والبحث عنه جارٍ على قدمٍ وساق، وبعد أيَّام جاءني الأخ عماد عوض الله، وهو شقيق الشَّهيد عادل، ونقلني إلى بيتٍ آخر، ومكث معي يومين، وأخبرني أنَّ عادل سوف يأتي لي، وجاء عادل ونقلني إلى بيتٍ آخر، وكان عبارة عن مخزن، وأخبرني بأنَّه يُجهِّز لنقلي إلى بيت لحم، وعليَّ أن أنتظر حتَّى يُنهي تجهيزاته، وكنتُ مسلَّحاً طوال الفترة بكارلو ومسدَّسين وأربعة قنابل وبعض المتفجِّرات التي كنتُ أنوي أن أجعلها حزاماً لي أضعه على وسطي، وطوال تلك المدَّة لم تكن لي أيَّ اتِّصالاتٍ مع أحدٍ سوى الأخ عادل، وبعد يومين حضر عادل ومعه سيَّارة، وركبت بها؛ وانتقلتُ إلى بيت لحم، وكانت هناك سيارة أخرى تسير في الأمام؛ لتكشف لنا الطَّريق، وكنَّا على اتِّصالٍ تليفونيٍّ مع بعضنا، وفي الطَّريق اضطررنا أكثر من مرَّةٍ لتغيير المسار؛ نتيجة الحواجز المنتشرة على الطُّرق، وقبل رحيلي أخبرني الأخ عادل أنَّه سيلحق بي بعد يومين.

الشهيد المجاهد / عماد عوض الله

وأعلمني أنَّني سوف أجد الأخ محيي الدِّين الشَّريف هناك، وودَّعتُه قبل الرَّحيل، ووصلتُ إلى بيت لحم بسلام، ومرَّةً أخرى قابلتُ الشَّهيد محيي، وعشتُ معه مدَّةً من الزَّمن حتَّى اُكتُشف أمر وجودنا في البيت في مدينة بيت لحم.

لقد عشنا هناك في بيتٍ استأجره لنا أحد الإخوة، وكان البيت يقع بجانب بيت هذا الأخ، وكنَّا لا نخرج من البيت نهائيّاً؛ لأنَّ صورنا أصبحت معروفة وموزَّعة على جميع عناصر السُّلطة وغيرهم، ولكن كان عليَّ أن أعرف أخبار مجموعة القدس، وقد اضطررتُ إلى الذَّهاب إلى الخليل مرَّتين؛ لمقابلتهم في مكانٍ كان محدَّداً بيننا هناك كمرجعٍ في حالة حدوث أيِّ طارئٍ من هذا القبيل، وقد تعرَّضتُ من أجل ذلك للمخاطر، وكنتُ مستعدّاً للاشتباك في أيِّ لحظة، ولكن كان الأمر لابدَّ منه، وتمكَّنتُ أخيراً من الاتِّصال بهم وإيصال رسالةٍ لهم، وطلبتُ مقابلتهم في بيت لحم، وخرجتُ أنا ومحيي الدِّين لمقابلتهم في الموعد المحدَّد، ولكنَّهم لم يحضروا وانقطع الاتِّصال بيننا مرَّةً أخرى، واضطررت للاتِّصال بهم على تيليفون أحدهم، فأُخبرت أنهم اُعتقلوا، وكانت صدمةً كبيرة، وطلبتُ أنا والأخ محي الدين من الشَّاب الذي نسكن عنده أن يقوم بالاتِّصال بالخليل ويسأل عن أمرٍ أطلعناه عليه، وشدَّدنا عليه أن يتَّصل من تيليفونٍ عمومي؛ خوفاً من أن يكون التيليفون مراقباً، وكان موعد الاتِّصال ليلاً، وتفاجأنا ظهراً بوصول عادل، وأخبرناه بما فعلتُه، فثارت ثائرته علينا، حيث كان حريصاً علينا، وقد تفهَّم الأسباب، وأخبرناه بأنَّنا سوف نجري اتِّصالًا عبر تيليفون للخليل، ولكنَّه رفض، ومع إلحاحنا عليه وافق على مضض.

وأكَّد على الأخ أن يتَّصل من خلال تيليفونٍ عمومي، وحذَّره من الاتِّصال من هاتفه الشَّخصي أو جوَّاله؛ خوفاً من أن يكون التِّيليفون مراقب، وذهب الأخ واتَّصل وكان الأمر مقلقاً، ولكنَّ الأخ أخبرنا أنَّه اتَّصل من خلال تيليفونٍ عمومي، ما هدَّأ من روعنا، وفي الليل بدأنا نناقش الأوضاع وما آلت إليه، ونناقش كيفيَّة مواصلة وتقسيم العمل، وكان الطَّرح الرَّئيسي هو كيفيَّة خطف الجنود؟

وفي الليل كان ينام أحدنا ويبقى الآخر يحرسنا، وفي السَّاعة الثَّالثة ليلاً داهمت أجهزة السلطة بيت الشَّاب الذي أجرى الاتِّصال، وكانوا متأكِّدين من وجودي في هذا البيت وسألوا عنِّي.

أمَّا نحن، فقد أخذنا استعدادنا للاشتباك معهم، وكنَّا موجودين خلف الباب، وبمجرَّد فتحه سنُطلق النَّار، ولكنَّ الذي حدث ولله الحمد عكس ذلك، حيث إنَّهم قاموا باعتقال هذا الأخ وزوجته، وسألوه عن أصحاب البيت الذي نحن فيه، فأخبرهم أنَّه فارغ، وصادروا التيليفون الخاص به، وبمجرَّد انصرافهم بعد ساعةٍ من التَّفتيش خرجنا من البيت؛ لنُكمل باقي الليل في الجبال من حول بيت لحم، لنعرف بعد ذلك أنَّ الأخ اتَّصل من هاتفه الخاص به، وكان الشَّاب يظنُّ أنَّ الأمر بسيط، ولكن قوَّات الاحتلال كانت تراقب هاتفه، فتمكَّنوا من معرفة صاحب هذا الهاتف؛ وأبلغوا السُّلطة بذلك؛ بغرض مداهمة البيت واعتقال من فيه، وإلا فإنهم سيفعلون ذلك بقوَّاتٍ خاصَّةٍ أو ضربه بالصَّواريخ، فاعتقلت السُّلطة نيابةً عنهم الشَّاب وزوجته وقامت بالتَّحقيق معهما بوحشيَّةٍ وانتزاع الاعتراف منهما، وكانت مداهمة البيت، ولكنَّهم لم يجدوا شيئاً، فقد كنَّا في الجبال في إحدى المغارات، وقد تركَنا الأخ عادل وذهب ليجهِّز لنا أمر انتقالنا إلى الخليل بعد الاتِّفاق على أن ننتقل إلى هناك، حيث لن يشكَّ أحدٌ بوجودنا تحت المناطق التَّابعة للسَّيطرة "الإسرائيليَّة"، وهذا أفضل من بقائنا تحت سيطرة أجهزة الأمن الفلسطينيَّة، وبقيتُ أنا والأخ محيي الدِّين نعيش في المغارة نهاراً ونتنقل ونسير بين الجبال ليلاً، وكانت حياة الجبل خطيرة، إلَّا أنَّها كانت جميلة، فقد كنَّا نقضي الليل في التَّدريب والتَّنقُّل، وكان يحضر لنا الأخ عادل بين الوقت والآخر ليأتي لنا بالطَّعام، ومكثنا هناك عشرة أيَّامٍ حتَّى تجهّز أمر نقلنا إلى منطقة دورا في الخليل، ومكثتُ هناك طوال مدَّة المطاردة حتَّى اعتقالي هناك.

ثالثاً: الانتقال إلى مدينة الخليل وبدء التَّخطيط لعمليَّة أسر جنديٍّ صهيوني

انتقلنا إلى مدينة الخليل بمساعدة القائد عادل عوض الله، وقبل الانتقال اتَّفقنا على طريقة الاتِّصال بيننا عبر الرَّسائل، وكان الاتفاق أن نجلس هذه المدَّة في الخليل حتَّى تهدأ الأحداث وتخفَّ الاعتقالات، وكان بيننا مشروعٌ للعمل يقف على رأس أولويَّاته عمليَّات أسر للجنود؛ من أجل تحرير الأسرى، وكان هذا هو الأمر الثَّاني الذي وضعناه كهدفٍ أمامنا بعد الانتهاء -بفضل الله- من تنفيذ الانتقام لدماء الشَّهيد المهندس يحيى عيَّاش، ولكنَّ هذا العمل كان يحتاج إلى خطَّةٍ متكاملة، وإمكاناتٍ وأمورٍ كثيرة، وكما ذكرتُ فإنَّ هذا الأمر كان من أولويَّات عملنا بعد انتهاء تلك العمليَّات، وقد طرحتُه على الأخ عادل عوض الله واستعد لذلك، برغم شكوكه من نجاح التَّنفيذ في ظلِّ هذه الأوضاع الصَّعبة، وقد ساعدني بمبلغ 3500 دولار من أمواله الشَّخصيَّة، وهذا المبلغ كان كلُّ ما يملكه، ولم يتردَّد في تقديمه لنا لحاجتنا شراء سيَّارةٍ كبيرة؛ لتكون جاهزةً لعمليَّة الأسر، ولكنَّ ما حدث من تغيُّراتٍ جعلنا نتأخَّر قليلاً، وكان المشروع متَّفقاً عليه مع الأخ محيي الدِّين الشَّريف والأخ عادل عوض الله، وكان علينا أن ننتظر اتِّصالاً من الأخ عادل؛ لكي نباشر العمل ويكون حينها قد توفَّر لنا كلُّ ما يحتاجه هذا الأمر، وقد انتقلنا إلى الجبل مع الظُّهر، وكان الرَّجل الذي سنعيش عنده في الخليل هو الذي نقلنا إلى بيته، وكانت وظيفة هذا الرَّجل عبارةً عن توفير مأوى لنا، وأيضاً وسيلة اتِّصالٍ؛ ليوصل لنا رسائلنا، ويأتي لنا بالرَّسائل من مكانٍ معيَّن، وفي بيته عشنا ما يقارب الشَّهر، وكان حريصاً علينا جدّاً، وقد وفَّر لنا جميع مستلزمات الحياة والأمن، وكان يسهر على راحتنا، ولم يُقصِّر معنا أبداً، وكان نصيبه أن يُعتقل معي على الحاجز يوم اعتقالي، وكنَّا نخرج من بيته ليلاً أنا والأخ محيي الدِّين إلى إحدى المغارات، ونقوم بإجراء تدريبٍ على السِّلاح والمتفجِّرات ونعود مع الصَّباح.

إعداد العدَّة ومواصلة المسير برفقة محيي الدِّين

كان من أهمِّ أعمالنا في الخليل هو العمل على شراء سلاحٍ وما نحتاجه من أمورٍ أخرى، وقد كانت الرَّسائل متواصلةً بيني وبين الأخ عادل طوال هذه الفترة،

وقد كان يُرسل لنا كلَّ ما نحتاجه، وقد أرسل لي عدَّة مبالغ مالية، فتمكنت من شراء بندقيَّة M16 وكمِّيَّة متفجرات، وهي التي كنَّا نتدرَّب عليها، ولكن وضعنا نحن المطاردين يختلف عن أيِّ وضعٍ آخر، فقد كنتُ باستمرارٍ أعرض على القائد عادل أنَّه ليس من الصَّحيح لنا نحن المطاردين أن نجلس طوال هذا الوقت دون عمل؛ لأنَّ حياة المطارد تختلف عن حياة الآخرين، وأنَّ حياته شبيهةً بالعدَّاد الذي يجب أن يستغلَّ كلَّ دقيقةٍ في العمل، علماً بأنَّ كلَّ الأمور بيد الله، ولكنَّ الأخ عادل كان يُعارض ذلك معارضةً نابعةً من شدَّة حرصه علينا، هكذا كنَّا، وقد كانت رسائلنا تدور حول هذه الأمور، وقد حدثت ونحن في الخليل مجزرة "قانا"، وكان بودِّنا الرَّد عليها، وكنَّا مستعدِّين لذلك، ولكن كان قرار الرَّفض؛ بسبب أوضاع الحركة، وهذا الأمر جعلنا نأخذ المبادرة بأنفسنا أنا والأخ محيي الدِّين، ووصلنا إلى قرار أن نبدأ بالعمل ونجهِّز كلَّ شيء، وبعد ذلك نطلع الأخ عادل على الأمر؛ لأنَّ وضعنا نحن المطاردين نختلف عن أيِّ وضع، وبإمكاننا البَدْء بمشروع الأسر، ونستطيع توفير كلِّ شيءٍ من أجل هذا الأمر.

وكان في تصوُّرنا أنَّ الوضع أصبح مهيّأً لعمليَّة الأسر، خاصَّةً أنَّ حكومة "بيريز" أصبحت في موقفٍ حرجٍ بعد العمليَّات التي نفَّذناها انتقاماً لدماء المهندس، وهذا الذي دفعها إلى ارتكاب مجزرة قانا خلال عناقيد الغضب، ورأينا أنَّ الضَّغط عليها في هذا الوقت قد يكون مناسباً في موضوع الأسر، خاصَّةً وأنَّ الانتخابات على الأبواب، وفي تصوُّرنا أيضاً أنَّ الضَّغط عليها عندما يكون في حوزتنا جندي سيكون كبيراً جداً، وستلبِّي مطالبنا بالإفراج عن الشَّيخ الشَّهيد أحمد ياسين وعدد كبير من الأسرى، ولن تخاطر بحياة جنديٍّ كما فعل رابين من قبل، وخاصَّةً أنَّ الانتخابات (الإسرائيلية) قريبة، ولذلك رأينا أنَّ هذا الوقت هو أنسب الأوقات لهذا العمل، ومن خلاله نستطيع الاستنتاج أنَّ مثل هذه العمليَّات تستطيع أن تضغط على الحكومة (الإسرائيلية) للاستجابة لمطالبنا؛ لأنَّ عدم الاستجابة يعني أنَّهم لن يستجيبوا لنا في أوضاعٍ يكونون فيها أفضل، وبالتالي علينا التفكير في طرق أخرى بديلة لذلك.

وكان هذا العمل يحتاج إلى خطَّةٍ حكيمةٍ ودقيقةٍ خاليةٍ من أيِّ ثغرات مهما كانت صغيرة؛ لأنَّ أيّ ثغرةٍ تعني انتصاراً حكومة الاحتلال علينا.

بدأنا العمل واتَّفقنا على عدم تبادل المعلومات التي تتعلق بعملنا الجهادي ضد الاحتلال؛ حرصاً منا على عدم الفشل وتحقيقاً للنَّجاح المطلوب، وجرى الاتفاق على مجموعة من المحدِّدات، وهي كالآتي:

حدَّدنا أهمِّ نقطة، وهي من سيقوم بعمليَّة الأسر أنا أم الأخ محي الدين ومن سيكون في المجموعة الأخرى التي ستكمل العمل بعد استلام الجندي من المجموعة الأولى، وهنا نشبت مشكلةٌ بيننا على من سيكون في مجموعة الأسر ومن سيكون في المجموعة الأخرى، ولم تُحل هذه المشكلة إلَّا بالقرعة بيني وبين الأخ محيي الدِّين، والتي خرجت لصالحه، فما كان منِّي إلَّا الالتزام بما جرى، وبدأنا في تحديد العمل والخطوات.

فكان عمل الأخ محيي الدِّين يتلخَّص في إجراء اتِّصالٍ سريعٍ مع مجموعة القدس التي كان على اتِّصال هو بها من قبل، والتي كانت تتكوَّن من فردين، إضافةً إلى الأخ محيي الدِّين، وكانت مهمَّتها القيام بعمليَّة الأسر، فحدَّدنا وناقشنا ما تحتاجه، وهو توفير مبلغٍ من المال؛ لشراء سيَّارةٍ وتوفير السِّلاح اللازم، ونقل الأخ محيي الدِّين إلى داخل القدس؛ ليسهل عليه التَّنقُّل هناك، وتوفير شقَّةٍ أو مكانٍ مناسبٍ؛ كي أجلس فيه في انتظار وصول الجندي بعد أسره واستلامه والانطلاق به لإخفائه في المكان المعدِّ لذلك، حيث لا يعرفه أحدٌ حتَّى المجاهد محيي الدِّين، وبالفعل اتَّصل محيي الدِّين بمجموعة القدس، وكان يتطلَّب العمل أن أتعرَّف على أحد أفراد تلك المجموعة الجديدة؛ ليكون حلقة الاتِّصال بيننا، ومن ثم تحديد موعد اللقاء بين الأخ محيي الدِّين وأحد أفراد المجموعة، وخرجتُ مع الأخ محيي الدِّين؛ لملاقاة الأخ الذي كان يُلقَّب بأبي الحسين وأُعلمه بالمهمَّة، وكلَّفتُه بإيجاد مكانٍ مناسبٍ له؛ للعمل على تجهيز الأمور، كما وطلبتُ منه أن يجد بيتاً قريباً من القدس أيضاً، وحُدِّد موعدٌ لنقل الأخ محيي الدِّين إلى القدس.

أمَّا بالنِّسبة لي، فقد باشرتُ العمل، واتَّصلتُ بأحد الإخوة، ويُعتبر من القياديِّين في الحركة، وأوضحتُ له الأمر، وكان حديثي له بعد شرح الموضوع أنْ طلبتُ منه مبلغاً من المال؛ لشراء سيَّارة، والتي بها سنُنفِّذ عمليَّة الأسر، وأن نُحدِّد شخصاً ذا ثقة؛ ليكون معي في العمليَّة، وشراء جهازي "جوال" وآخر للاستقبال فقط وكاميرا فيديو وأشرطة، وعليه أن يُجهِّز ذلك في أسرع وقتٍ خلال أسبوعٍ على الأكثر، وتضمَّن الحديث كيفية العمل وآليَّة الاتِّصال بيننا بعد عمليَّة الأسر، وسنُوصل البيانات والأشرطة له، وهو ينقل التَّعليمات وكل ما يطرأ من مفاوضاتٍ مع القادة، وكان التَّفاهم على كلِّ شيء، آخذين في الاعتبار حدوث حصارٍ ومنع تجوُّلٍ وحتَّى انقطاع الاتِّصال، واتَّفقنا على مكانٍ يكون فيه الإعلان عن الأسر وأشرطة الفيديو، وافترقنا على أن يكون الأمر جاهزاً بتجهيز كلِّ ما طُلب، إضافةً إلى تحديد الشَّاب الذي سينضمُّ إلينا، وهكذا اتَّضحت الأمور وأصبحت جاهزة، وكان الاتِّفاق بيني وبين الأخ محيي الدِّين على أن أنتظره في المكان المحدَّد في القدس لمدة أسبوع، وعليه الخروج ليلاً كلَّ يومٍ لمحاولة الأسر، وحدَّدنا كيفيَّة الأسر والطَّريقة السَّليمة للسَّيطرة على الجندي، والأدوات اللازمة، والسِّلاح والسَّيَّارة، وأعطيتُه الهويَّة الوهمية التي كانت معي؛ لشراء السَّيَّارة باسمها، وخرجتُ مع الأخ محيي الدِّين وهو في طريقه إلى القدس، وقابلتُ الأخ أبو الحسين، واتَّفقنا على أن نتقابل بعد يومين في "أبو ديس"؛ لنقلي إلى القدس، حيث المكان المعدِّ والمحدَّد سابقاً.

عُدتُ وحدي لأتمِّم باقي الأمور مع الأخ الذي طلبتُ منه المستلزمات والشَّاب، وبالفعل جهَّز كلَّ ما طُلب منه، وتعرَّفتُ على الشَّاب، وتركتُ له أمر المفاوضات، مع أخذ اعتبارِ وضعنا في الحُسبان وحساسيَّته، وعدم الإطالة في المفاوضات بعد الإعلان عن الأسر، وافترقنا وعدتُ أنا والشَّاب إلى البيت الذي أسكن فيه، وأما بالنِّسبة للمكان الذي سيُوضع فيه الجندي، فقد هيَّأنا مكانين، أحدهما داخل البيت وهو مكان مؤقَّت، والآخر مغارة وهي المكان الرئيسي والأكثر أماناً لنا.

والخطَّة كانت تدور أنه بعد أسر الجندي واستلامه ننطلق إلى مكان إخفائه، وبذلك يكون العمل مقسَّماً إلى مرحلتين ومجموعتين.

المرحلة الأولى: هي أسر الجندي وتُسلَّمه المجموعة الأولى لنا، ومن ثم ينقطع الاتِّصال بيننا، وبالتالي هم لا ولن يعرفوا شيئاً عنَّا.

والمجموعة الثانية والتي كنتُ أقودها ستتولى نقل الجندي إلى المكان المخصص لذلك وتصويره عدة صور وعدة أشرطة بتواريخ متفاوتة، وتوصيل هذه الأشرطة والصور إلى الإخوة المختصِّين بموضوع المفاوضات، ويقومون هم بالإعلان عن الأسر وطرح شروطهم وتحديد المدة مع مراعاة عدم الإطالة؛ خوفاً من اكتشاف أمرنا ومعرفة مكاننا، وكانت آليَّة الاتِّصال بيننا واضحة، بحيث نُوصل كلَّ ما يُستجدُّ من أمورٍ خاصةٍ بنا وبهم، وفي حالة انقطاع الاتِّصال نعتمد على أنفسنا ونتصرف وفق ما يجري، وكنا محصِّنين أنفسنا بكل ما نستطيع من سلاحٍ وقنابل وكلّ شيءٍ يلزم، وهذا ملخَّصٌ لعمليَّة الأسر المفترضة، وبعد تجهيز كلِّ الأمور ذهبتُ لمقابلة الأخ أبو الحسين في أبو ديس، وانطلقتُ في سيَّارتين، الأولى يقودها الشاب الذي سيشترك معي، والسيارة الأخرى يقودها الأخ الذي أسكن في بيته، وهو من عائلة الرجوب، وكنا على اتِّصالٍ فيما بيننا من خلال البيلفون، على أن يسير الشَّاب في السيارة الأولى أمامنا؛ ليستطلع لنا الطريق وأركب أنا والأخ الآخر في السيارة الثانية، وكان هذا الأخ لا يعرف شيئاً عن الموضوع سوى أننا ذاهبون إلى مكانٍ ما لا أكثر، ووصلنا أبو ديس وهناك طلبتُ من الأخ الذي أركب معه أن ينتظرني في مكانٍ معين، وسأرسلُ له الشاب الجديد؛ ليُخبره ماذا يفعل، وذهبت أنا والشاب الجديد في سيارته إلى مكان اللقاء، وهناك التقيتُ بأبي الحسين وركبتُ معه؛ ليُوصلني إلى المكان، وطلبتُ من الشاب الجديد اللحاق بنا بسيارته، ووصلنا إلى البيت الذي سأمكث فيه أنا والشاب الجديد ودخلنا البيت، وطلبتُ من أبو الحسين المباشرة بالعمل ونحن في الانتظار، وكان معه رسالة من الأخ محيي الدِّين يُخبرني بأنَّهم جاهزون لبدء العمل، فأخبرتُه ونحن كذلك وأعطيناهم رقم بيلفون الاستقبال؛ لكي يتصلوا بنا كلّ يومٍ في ساعةٍ معينة، واتفقنا على كلمة سرٍّ حين نذكُرها أثناء الحديث،

فهذا يعني أنهم قادمون ومعهم الجندي، فعلينا أن نكون جاهزين، وفي حالة عدم الاتِّصال يعني حدوث شيءٍ وعلينا مغادرة البيت فوراً، وجلسنا ننتظر، وأرسلتُ الشاب الجديد إلى الشَّخص الذي ينتظرني في الخليل واسمه رزق الرجوب، أرسلتُه يخبره أنَّ عليه أن يأتي كلّ يومٍ إلى القدس وقت المغرب، وينتظرني في نفس المكان حتَّى السَّاعة الواحدة ليلاً، فإن لم آتي عليه العودة إلى البيت والرجوع في اليوم التالي، وبقينا على هذه الحالة ثلاثة أيامٍ والأمور على ما يرام.

وفي هذه الأيام كتبتُ رسالةً إلى عادل عوض الله؛ لأشرح له كلَّ شيء، وكنتُ متأكِّداً أنه سيثور ويحنق علينا، ولكن من الضروري إخباره، وفي اليوم الثالث وأنا في البيت حدثت مشكلةٌ كادت أن تعرِّضنا للخطر، فأُجبرنا على المغادرة، وكنَّا في وضعٍ حرجٍ لا أعرف أين أذهب، فقرَّرتُ العودة إلى الخليل أنا والشاب بسيارته، وكانت مخاطرةً كبيرة؛ لأننا سنسير دون رصد الطريق، ولكن لم يكن هناك حلٌّ آخر، وعدنا في النهار إلى الخليل، وعند وصولي فوراً أرسلتُ الأخ الذي معي؛ لكي يرجع إلى القدس بالهاتف؛ لينتظر المكالمة ويطلب من أبو الحسين المقابلة ويخبره بالمشكلة، ويخبره بالتعديلات، وأننا سننتظر في مكانٍ آخر، والخطة كما هي، وعليهم إذا أسر الجندي أن يتَّصلوا بنا، ويكون اللقاء في منطقةٍ أخرى في نفس مدينة القدس، وأن يُمهلونا ساعةً ونصف حتى نصل إليهم، وهي المسافة بين الخليل والقدس، وبذلك أصبح عملنا أكثر خطورة؛ لأننا سنذهب ليلاً ونعود ليلاً، ولكن لابدَّ من ذلك، وكان الأمر، وجلسنا في الخليل ننتظر اتِّصالهم، حتى سمعنا في الأخبار عن محاولة أسر جنديٍّ ولكنَّ المحاولة لم تنجح؛ لأنَّ الجنديَّ تمكَّن من الفرار من السَّيَّارة، وأصبح شعورٌ عندها أنَّ المجموعة هي مجموعة محيي الدِّين، ولكن كان لابدَّ من الاتِّصال، وجاء الاتِّصال بأنَّ اللقاء يوم الأربعاء ليلاً، وأرسلتُ لهم الشَّاب من القدس، والتقى بأبي الحسين وأخبره بما حدث، وأنَّهم تمكَّنوا من أسر جنديٍّ يوم الثُّلاثاء ليلاً، وأقلُّوه كراكب، وفي الطريق حاولوا السيطرة عليه ولكنه استطاع الفرار، ملقياً بنفسه من الشُّبَّاك بعد كسره، وبذلك فشلت العمليَّة.

وحدَّدتُ موعدًا لي للقاء أبو حسين يوم الجمعة ليلاً في الخليل، وعاد الشاب بهذه الأخبار، وكان عزاؤنا أننا عملنا كلَّ ما بوسعنا، ولم نقصِّر في شيء، ولكن هكذا طبيعة العمل، لا يوجد نجاحٌ باستمرار، وكان رأيهم تأجيل الأمر إلى فترة، وهذا ما كنتُ أناقشه مع أبو الحسين يوم الجمعة، وفوراً كتبتُ إلى عادل رسالةً أخرى بما حدث، وأنني سأرسل له التَّفاصيل بالكامل بعد الجمعة، فوصلتني رسالةٌ يوم الخميس كلّها شجبٌ واستنكارٌ واتِّهامٌ بالاستعجال، ولكنه في آخرها يُخبرني أنَّه في انتظار أسباب فشل العمليَّة، وكيف تمكَّن الجندي من الفرار، وانتهت عمليَّة خطف الجنديِّ بهذه الطَّريقة التي قدَّرها الله، وقد قرَّرتُ الرُّجوع بعد العمليَّة إلى رام الله، ولكن بعد مقابلة أبو الحسين يوم الجمعة.

رابعاً: حادثة الاعتقال

مكان الاعتقال

كان موعد اللقاء في مدينة الخليل في مكانٍ آمنٍ جدّاً بالقرب من أحد المساجد، وهو مكانٌ ذهبتُ إليه عدَّة مرَّات، ونادراً ما يتواجد فيه جنود، وفي الموعد المحدد انطلقتُ للقاء، وكان معي الأخ رزق الرجوب وهو من يقود السيارة، وكنا نركب سيَّارةً من النَّوع الكبير، ووصلنا إلى المكان متأخِّرين، وفجأةً وجدنا أنفسنا في وسط الجنود، وكان ذلك عبارة عن حاجزٍ عسكريٍّ مفاجئ، وكانت المفاجأة كبيرة، حيث كانوا يُوقفون جميع السَّيَّارات ويقومون بتفتيشها، وعندما وصلنا إلى الحاجز طلب الجنديُّ من سائق السَّيَّارة الوقوف، وقد حاول الأخ الهروب ولكنَّه أصبح محاصراً بين مجموعةٍ من السَّيَّارات من الأمام ومن الخلف، ورغم ذلك حاول أن يجد طريقةً للهروب فلم يتمكَّن، وشعر الجنود من حولنا بالأمر، وفوراً كانت السَّيَّارة محاصرةً بعشرات الجنود، وهم يُشهرون السِّلاح، وجاء الجنديُّ بالقرب منِّي وفتح باب السَّيَّارة وطلب منِّي النُّزول وهو

يشهر سلاحه، وكنتُ حينها أضع مسدَّساً على جنبي تحت القميص، ومعي قنابل وكارل غوستاف تحت المقعد، ولكن الوضع كان لا يسمح لي بأن أتمكَّن من حكِّ رأسي وإلا لإنهال الرَّصاص فوراً، فاستجبتُ لطلب الجندي ونزلتُ من السَّيَّارة وأنا أضحك، وكأنَّ الأمر طبيعي، وقد وضعتُ في رأسي عمل شيء، ومع أنَّ كلَّ الجنود كانوا مشهرين أسلحتهم إلَّا أنَّني بحثتُ عن منفذٍ يمكن الفرار إليه؛ لأتمكَّن من إخراج سلاحي أو استخدامه، ولم أتردد مطلقاً، وفوراً بادرتُ بالهروب من فتحةٍ بين الجنود، وإذ بالرَّصاصة تخترق ظهري، وقد رمتني أرضاً، وقد أدَّى إطلاق النَّار عليَّ وسقوطي أرضاً إلى غضب وثورة النَّاس، فتمكَّنتُ من الزَّحف على الأرض حتَّى وصلتُ إلى زاوية الشَّارع، وحينها كنتُ ما زلتُ واعياً، وتمكَّنتُ من ركوب سيَّارة، وظننتُ أنَّني فزتُ بالشَّهادة، وحينها لم يخطر ببالي إلَّا ترديد الشَّهادة، وبعدها غبتُ عن الوعي نهائيّاً، ولم أستيقظ إلا في غرفة العناية المركَّزة بمستشفى هداسا في القدس، وحولي العشرات من المحقِّقين الذين ينتظرون أن أفيق؛ ليبدؤوا أبشع أنواع التَّحقيق مع سجينٍ خارجٍ من عمليَّةٍ جراحيَّة، ووضعوني في غرفة العناية المركَّزة، وقد تبيَّن فيما بعد أنَّ السُّلطة الفلسطينيَّة هي من أبلغت عن وجودي في المستشفى، وهي التي قامت بتسليمي مباشرةً لقوات الاحتلال، وأنَّ السُّلطة أيضاً كانت وراء رصدي وخاصَّةً أنَّها كانت تعلم بوجودي في الخليل، وكانت توزِّع صوري على رجالاتها؛ للبحث عنِّي، وكانوا يقولون للناس أنَّني عميلٌ خطيرٌ مطلوبٌ للسُّلطة بتهمة قتل عشرات الشُّهداء، وقد ثبت أخيراً أنَّ جبريل الرجوب له يدٌ في اعتقالي، كما وثبت أنَّه كان يريد تسليمي للجانب (الإسرائيلي) لعلَّةٍ في نفس الرجوب.

لحظة الاعتقال

خامساً: في أقبية التَّحقيق

كانت آخر العمليَّات التي نفَّذناها كما سبق ذكرها "محاولة أسر جندي"؛ لإيماننا الأكيد بأنَّ الإفراج عن الأسرى لن يكون إلَّا من خلال أسر جنديٍّ (إسرائيلي)، ومن ثمَّ القيام بمبادلته بعددٍ من أسرانا الأبطال، وقد أعددنا لعمليَّة الأسر هذه جيِّداً، إلَّا أنَّ قدر الله غالبٌ في النِّهاية، وللأسف لم يُكتب لهذه العمليَّة النَّجاح رغم كلِّ الترتيبات الدقيقة لهذه العمليَّة، وبعد هذه الحادثة بأيَّام كان اعتقالي بتاريخ 1996/5/17م، أنا أصبت إصابةً خطيرةً في ظهري، حيث كانت إصابتي في أسفل الظَّهر بجانب العمود الفقري بطلقة "دمدم"، تفجَّرت في أمعائي، وسبَّبت لي نزيفاً، لذلك لم أستطع السير لمسافةٍ طويلة، وما أذكره أنَّني وقعتُ بجانب سيَّارة، وقام النَّاس بنقلي إلى مستشفى (عالية) في الخليل.

وقبل وصول المستشفى كنتُ فاقداً للوعي، وقد أفقتُ على باب المستشفى عندما أنزلوني من السَّيَّارة، وما زلتُ أذكر ذاك الشاب من الأمن الوقائي الذي أخذ من جيبي ما أحمله من أوراقٍ وبطاقات هويَّةٍ غيرحقيقية، حيث كانت معي هويَّة "قدس" وهويَّة "ضفَّة"، وكل واحدةٍ باسمٍ، ونوتة صغيرة للهواتف، ومبلغًا ماليّاً، كلها سُلِّمت لقوات الاحتلال، في دليلٍ واضحٍ على طبيعة التَّنسيق الأمني بين الطرفين، وقد سألني هذا الشاب من أنا، ولأنني كنت أعلم بخطورة وضعي وخطورة المكان المتواجد فيه قلت في نفسي "لعلَّ هذا الشاب الذي يعمل كأمنٍ للمستشفى تأخذه النَّخوة ويساعدني"، فقلتُ له: "أنا المطلوب حسن سلامة وضروري أن أخرج من هذا المكان".

هذا آخر ما أذكره، وبعدها أدخلوني إلى غرفة العمليَّات، وبعد الاستفسار عما حدث تبين أن هذا الشاب اتَّصل بمسئوله في الجهاز، وعن طريقهم أبلغوا الجيش الصهيوني بوجودي في المستشفى، وعلى الفور فرضوا منع التجوال وحاصروا المستشفى، وبذلك يتحمَّل المسؤولية الأولى عن تسليمي جهاز الأمن الوقائي برئاسة

جبريل الرجوب، والذي كان يبحث عنِّي في كلِّ مكان، وخاصَّةً في الخليل، وقام بتوزيع صوري على أفراد جهاز الأمن الوقائي وعلى جميع مواقعهم، وحتَّى على الحواجز كانت صوري مع الجنود المتواجدين فيها.

وخلال فترة اقتحام الجيش (الإسرائيلي) للمستشفى واختطافي من هناك، لم أدرِ ماذا حدث، فقد كنتُ في غيبوبةٍ تامَّة؛ بسبب الإصابة، ولم أستيقظ إلا على حركاتٍ عنيفةٍ تهزُّني، وبدأتُ أفتح عيوني وأتبيَّن ما حولي...

الأسير حسن سلامة بداخل المستشفى

كنتُ في غرفةٍ صغيرةٍ بها أجهزةٌ متنوعة، وحولي أشخاصٌ يلبسون الأبيض، وأنا مستلقٍ على ظهري، تصوَّرتُ نفسي في الجنَّة للحظات، وأنني قد اُستشهدت، ولكن بعد لحظات بدأتُ أشعر بالألم، وإذ بي مقيَّد الأقدام والأيدي في السرير داخل غرفة العناية المركزة، وكانت تخرج من جسمي عدَّة أنابيب طبية، ومن حولي جميعهم محقِّقو الشاباك يحاولون إيقاظي، وكانوا مستعجلين للتَّحقيق معي بدافع الخوف من حدوث عمليَّةٍ استشهاديَّةٍ ربما أكون على علمٍ بها، ولذلك كانوا في سباقٍ مع الزمن، وكانوا يملكون قراراً من المحكمة بإحباط العمليَّة حتَّى لو على حساب حياتي، وهذا ما حدث عندما فتحتُ عيوني، حيث بدأ التَّحقيق معي عندما قال لي كبيرهم باللهجة العربية المكسَّرة: "أهلاً وسهلاً حسن، أنت الآن في مستشفى هداسا (عين كارم)، وأخيراً في أيدي المخابرات".

وقد نقلوني فوراً إلى غرفةٍ أخرى في نفس القسم، وقاموا بتصويري؛ لإبراز صوري للإعلام، كدعمٍ لشمعون بيرز الذي أصبح تاريخه السِّياسي في خطر.

جرح غائر وتحقيق عنيف

بدأ التَّحقيق معي على الفور، حيث كنت في هذه الغرفة مقيَّداً بالسرير، كلُّ طرفٍ من أطرافي مقيَّداً في زاويةٍ من زوايا السَّرير، وقد كنتُ عارياً تماماً، وكان معهم غطاء يضعونه على جسمي ويرفعونه وقتما يريدون، لم أرَ إلَّا طبيباً واحداً كان يُسمح له بالكشف عليَّ ولا يدخل إلى الغرفة إلا بعد أن يُقدِّم طلباً ويُسمح له بالدخول، وأذكر في إحدى المرات حدثت إشكالية ومشادة كلامية بين بروفيسور مسؤولٍ في المستشفى والمحققين الذين منعوه من الاقتراب منّي، فلم يوافق على ذلك، ولكنه لم يستطع فعل شيء، ومُنع فعلاً من الاقتراب مني، وكان يصرخ عليهم بتحمُّلهم المسؤوليَّة عمَّا قد يحدث معي، لكنهم لم يعبأوا بشيء.

الأسير حسن سلامة بداخل المستشفى

كان حولي مجموعة من مصَّاصي الدِّماء الذين التفوا حولي، منهم من يصرخ، ومنهم من يهدد، ومنهم من يترجَّى ويتوسَّل إنقاذ نفسي من الموت مقابل إنقاذ أنفس أخرى، كان التَّحقيق يدور حول ما سيُنفَّذ على حسب ما يملكون من معلومات، فهم كانوا يتوقَّعون وقوع عملياتٍ استشهاديَّةٍ جديدة، ويظنون أنني أملك معلوماتٍ حول هذا الأمر، حتَّى أنهم طوال الأسبوع الأول والثاني لم يتحدثوا معي عن العمليَّات السابقة؛ لأنها كانت عندهم بتفاصيلها، وكانت هناك اعترافات كثيرة أمدَّهم بها جهاز الأمن الوقائي، وكانت جميعها تُحمِّلني المسؤولية، ولذلك اعتبروا أن هذا الأمر تحصيل حاصل، فكانوا يحققون معي على ما سيحدث، وكانوا يعتبرونني قنبلةً موقوتة، لذلك يريدون استخراج المعلومات بالقوة مهما كانت النتيجة، ولذلك لم يتورَّعوا في استخدام أي وسيلةٍ مشروعةٍ وغير مشروعة، كنت أمامهم نائماً مقيَّداً لا حول لي ولا قوة، جسمي كله موصول ببرابيش، وحتى

قضاء حاجتي كانت من أصعب الأمور وأقساها، وكانوا يتعمدون تحريك البرابيش الموصولة داخل جسمي، وكنتُ حينها أشعر وكأن سكِّيناً ينغرس في لحمي، وكنت أصرخ من شدة الألم والوجع وأستغيث بالله بصوتٍ عالي، وكانت ضحكاتهم وقهقهاتهم ترتفع عاليةً مع التهديد أنَّ هذا لا شيء أمام ما ينتظرني في الأيام القادمة، وكنتُ أغيب عن الوعي مراتٍ كثيرة حتى تدهور وضعي الصِّحِّي، وعندما كان يصل وضعي لمرحلةٍ سيئةٍ جدّاً كان يُسمح للدكتور بالدخول حتَّى يعالجني أو يقوم بإعطائي إبرة مسكِّنٍ كان يغرسها في فخدي بقوة، حتى أنه من كثرة ما غرست هذه الإبرة في فخدي أصبح هناك مناطق لا أشعر بها، وما زالت حتى الآن، وكأنها مخدرة، وقد كنتُ أهدأ قليلاً مع هذه الإبر، وتكون فرصةً لهم لأخذ قسطٍ من الراحة حتى يعودوا لجولةٍ جديدةٍ من التَّحقيق.

وكانوا يتركونني في فترة الراحة تحت حراسة ما يسمى "حرس الحدود"، وكانت معاناتي مع هؤلاء معاناةً خاصَّةً تبدأ بالسَّبِّ والشتم بكل الألفاظ، ومنعي من النوم أو حتى الراحة، حتى وصل بهم الأمر لهزِّ السرير الذي كنتُ أنام عليه بعنفٍ عدة مرات وأنا مقيدٌ به، وانظر لحجم الألم الذي كان يصيبني جرَّاء ذلك، حتى إذا بدأت الجولة الجديدة من التَّحقيق أكون مرهقاً جداً... صدقاً في هذه اللحظات كثيراً ما تمنَّيتُ الموت من شدة الألم، ولم يكن أمامي ملاذٌ إلا الدعاء في نفسي بأن يصبِّرني الله ويثبِّتني؛ لأجتاز هذه المرحلة، وقد كانوا يسمحون لممرِّضةٍ بأخذي إلى الحمَّام عارياً؛ حتى تقوم بتنظيف جسدي، وكان ذلك يحدث مرَّةً كل يومين أو ثلاثة أيام.

وقد أطلقوا عليَّ في هذه الفترة لقب "الممثِّل"، فقد كنتُ أعطيهم أشياءً كثيرة، وأقوم بحركاتٍ معظمها مخادعات؛ حتى أرتاح ولو قليلاً، ويقومون بفحصها فوراً ويتبيَّن لهم أنَّها غير صحيحة، فيعودون من جديد، وهذا الأمر كان يزعجهم، وفي نفس الوقت كانت ورقةُ قوةٍ معي، أنني متَّهمٌ أمامهم بتنفيذ عملياتٍ كبيرة، وأنني لا أُنكر ذلك بل أفتخر بها، وهذا يجعلني على استعدادٍ لتبنِّي أي عملٍ وتحمُّل مسؤوليته دون الخوف من الحكم.

وبذلك أصبح الأمر يُسبِّب لهم مشكلةً في موافقتي على كل أعمال الدنيا "ما عملْته وما لم أعمل"، وهذا سبَّب لهم مشكلةً في معرفة المنفِّذين الحقيقيِّين لهذه الأعمال، ولذلك اعتبروني ممثَّلاً، واعتبروا كل إفاداتي أكاذيب لا يعرفون الصحيح من الخطأ فيها.

ابتسامة النصر على المحققين

الاعتراف الحقيقي الذي انتزعوه مني حول عمليَّة الأسر التي قمنا بتنفيذها، ولم تكن مكشوفةً بتفاصيلها، وكانت في أسوأ جولات التَّحقيق، وقد استمرَّ التَّحقيق معي شهراً كاملاً داخل المستشفى بعد الأسبوعين الأوَّلين، وقد تدهور وضعي الصحي جدّاً، وارتفعت درجة حرارتي، فاستدعوا طبيبةٍ متخصِّصةٍ لفحصي، وكانت أُجريت لي عمليَّةٌ؛ لاستخراج شظايا الرَّصاص من بطني"، ويوجد في بطني جرحٌ ما يقارب 15 سم، وقد استأصلوا ما يقارب 20 سم من الأمعاء، وقاموا بإجراء عمليَّة ترقيعٍ لبعضها، وكانوا طوال فترة التَّحقيق يخبرونني باستئصالهم لإحدى كليتيَّ؛ للضَّغط النَّفسي عليَّ، فقد كان الجرح ملتهباً جدّاً مع شدة التَّحقيق، وعندما وضعتْ هذه الطبيبة أصابعها على الجرح وضغطت عليه صرخت صرخةً قويَّةً جدّاً، فتبين لها التهابٌ شديدٌ في الجرح، وتجمُّع الصَّديد فيه، فقامت بفتح ما يقارب ست غرز من الجرح وأنا أنظر إليها دون تخدير، وبدأ الصَّديد والدَّم بالنزول، ورغم الألم الشديد إلا أنَّني ارتحتُ قليلاً بعد خروج الصديد الذي تجمَّع داخل الجرح، وكانت هذه الدكتورة تغيِّر لي على الجرح يوميّاً، وكانت هذه فرصة لهؤلاء المحقِّقين؛ للضَّغط علي، فقد كان يلبس أحدهم في يده كونته "كفات طبِّي" ويقول لي: "أريد أن أنظِّف لك الجرح"، ويبدأ بالضغط على الجرح، وكنتُ أشعر بأصابعه داخل بطني، وكان ذلك يسبِّب لي ألماً شديداً لا يُحتمل، وقد استمرُّوا بالتَّحقيق معي ولم يتوقَّفوا إلا بأخذ الاعتراف على عمليَّة الأسر والتحضير

لغيرها، كان شهراً من التَّحقيق المتواصل، شعرتُ بكلِّ ساعة، بل بكلِّ دقيقةٍ فيه تمنَّيتُ فيه الموت عشرات المرات، لم أكن أتصوَّر أنني سأخرج سالماً بعد كلِّ هذا العذاب، والحمد لله خرجتُ سالماً بفضل الله أوَّلاً وببركة دعاء والدتي، التي كنتُ على يقينٍ أنها كانت تلهج بالدعاء صباح مساء بأن يحفظني الله ويخرجني من بين أيديهم سالماً.

أخرجوني من المستشفى بعد شهرٍ كاملٍ، ووضعوني في قسم التَّحقيق في (المسكوبية)، واستمر التَّحقيق معي هناك، ولكن بدرجةٍ أخف، وبعدها نقلوني إلى تحقيق عسقلان، ورغم وضعي الصِّحِّي لم يتوقف تحقيقهم نهائياً، وكانت تأتي وفود كثيرة سواءً عسكريِّين أو خبراء يجلسون معي ويتحدَّثون، يريدون معرفة كيف نفكِّر، ونقاشاتٌ حول الاستشهاد والعمليَّات وكل هذه الأمور، وقد جاء لزيارتي مسئول الشَّاباك (الإسرائيلي) "عامي أيلون"، ولم أتصوَّر حينها أنه مسئول الشاباك، فقد دخل رجلٌ يلبس بنطلون (جينز) ممزَّق، "عامل النظافة"، لكن لفت نظري الاحترام الذي أبداه المحقِّق، وشعرتُ بأهمِّيَّة هذا الرجل، وقد جلس بالقرب مني، وتحدَّث معي عن غزَّة وعن العمل وعن أمورٍ كثيرة.

الانتقال إلى سجن عسقلان

مكثتُ في التَّحقيق خمسة شهورٍ كاملة، وبعدها أخرجوني للسِّجن لفترةٍ بسيطةٍ أقل من شهرٍ تقريباً، وكانت فترة مراقبة، وأعادوني بعدها مرةً أخرى للتَّحقيق لمدة شهرٍ آخر، قضيتُه كلُّه وأنا مشبوحٌ على كرسيٍّ صغيرٍ مع جولات تحقيقٍ متفرقة، كنتُ آخر المعتقلين.

وكانت كثير من الاعترافات موجودة عندهم مسبقاً بفضل ما يُسمَّى بالتنسيق الأمني مع الأجهزة الأمنيَّة الفلسطينيَّة وجهاز الأمن الوقائي بشكلٍ خاص، مرحلة التَّحقيق رغم صعوبتها وقسوتها لكنَّها تعتبر من أهم مراحل الاعتقال، ويستطيع الجميع الصمود فيها، وخاصةً الآن بعد أن تغيرت أساليبهم القديمة واستخدامهم لأسلوب العصافير الذي يجدونه ناجحاً؛ بسبب أنَّ المعتقلين وللأسف يكون عندهم استعداد للحديث في أمورٍ لم يعترفوا عليها أمام من يظنُّون أنَّهم أبناء تنظيماتهم، والمحققون في جهاز الشاباك (الإسرائيلي) كلّ يومٍ يطوِّرون من أسلوب العصافير الخبيث، وقد لا يستطيع المعتقل مجاراتهم في هذه الأساليب على تنوُّعها.

جلسة المحاكمة للأسير حسن سلامة

لكنَّ شيئاً واحداً يجب أن يفهمه كلّ مجاهدٍ أنَّ الأمور التي لم تعترف عليها عند المحقق تبقى أموراً خاصةً جدّاً، لا يحقُّ لأحدٍ كان من كان أن يطَّلع عليها، ولا يحقُّ لأحدٍ أن يسألك عنها مهما كان، حتَّى لو خرج الشَّيخ الشَّهيد أحمد ياسين -رحمه الله- من قبره فلا يحقُّ له أن يسألك عن أمورٍ لم تعترف بها نهائياً، وهذه نصيحةٌ مهمَّةٌ أتمنَّى أن يستفيد منها جميع المجاهدين الذين يثبتون في مختلف جولات التَّحقيق القاسية، ولكنَّ بعضهم للأسف يفشل فيما يُعرف بمعركة العصافير "العملاء"، لذلك أخي المجاهد إيَّاك ثمَّ إيَّاك من الحديث أمام أيَّ أحدٍ مهما كان وصفه ووضعه عن أمورٍ لم تعترف بها، واتَّقِ الله في نفسك وفي إخوانك وفي حركتك.

بعد قضاء تلك الفترة المؤلمة نقلوني إلى العزل الانفرادي، ومكثتُ فيه لمدَّة ثلاث سنواتٍ ونصف، إلى أن جاء موعد محاكمتي، وكانت محكمة تحدٍ بيني وبينهم، وخرجتُ من العزل عام 2000م، وأعادوني مرةً أخرى للعزل الانفرادي عام 2003م،

واستمرَّ عزلي حتى عام 2012م، وخرجتُ من العزل بعد أن قام الأسرى بإضراب الكرامة والتحدي، والذي كان من أهم نتائجه خروجنا من العزل الانفرادي، وها أنا الآن أتواجد في سجن نفحة الصحراوي، وقد تخطَّتنا صفقة وفاء الأحرار؛ لأنَّ الله لم يكتب لنا الفرج في هذه الصفقة، والحمد لله على كل حال، ونعيش والأمل بالله كبير أن يكون الفرج قريباً جدّاً.

جلسة المحاكمة للأسير حسن سلامة

الفهرس

الفهرس

آية قرآنية 3

إهداء 5

تقديم 7

تقديم 11

مقدمة 13

المبحث التمهيدي: 19

أبطال غزوة الثَّأر المُقدَّس 21

المحبث الأول: "ذكرياتٌ وفصولٌ من الحياة والجهاد" 27

أولاً: قبسات الطُّفولة ورياض المحراب 28

ثانياً: انتفاضة الحجارة ومجموعات الصَّاعقة 31

ثالثاً: المطاردة "رحلة إعدادٍ وجهاد" 33

رابعاً: في رحاب موطني واعتقال أبناء جلدتي 34

خامساً: التَّحدِّيات الجهاديَّة والملاحقات المزدوجة "واقع غزة عام 1995م" 36

سادساً: عملية غوش قطيف الاستشهاديَّة 40

سابعاً: عهدٌ ووفاء 42

المبحث الثاني: "غزَّة حتَّى استشهاد المهندس يحيى عيَّاش" 47

أولاً: المطاردون، واقعٌ وتحدِّيات 48

ثانياً: المهندس يقرِّر العودة للضِّفة الفلسطينيَّة 49

ثالثاً: وقع الاستشهاد على رفقة الجهاد 52

رابعاً: نواة الإعداد للثأر 55

المبحث الثالث: "المرحلة الأولى من الخُطَّة، بدأتْ من غزَّة" 57
أولاً: انطلاق مجموعات الرصد ومباشرة تأمين الطُّرق 58
ثانياً:مرحلة الإعداد والتجهيز في غزة 63
المبحث الرابع: "وداعاً يا غزَّة الأحرار" 67
أولاً: على أعتاب الضِّفَّة، وآخر وداعٍ لغزَّة 68
ثانياً: المجموعة الثَّانية تصل ساحة النِّزال 70
ثالثاً: حياة الأسود في براري مدينة أسدود 72
المبحث الخامس: "تنفيذ العمليَّات" 79
أولاً: طريق المجهول وروعة الوصول "لقاء القائد محيي الدِّين الشَّريف" 80
ثانياً:كيفيَّة تنظيم فرسان عمليَّة الثَّأر 88
ثالثاً:"ساعة الصِّفر" وتنفيذ أوَّل عمليَّتين 95
رابعاً: تنظيم منفذ العمليَّة الاستشهادية الثالثة "رائد الشغنوبي" 98
المبحث السادس: "ما بعد العمليَّات وحتَّى الاعتقال" 103
أولاً: الاحتلال والسلطة يحكمون القبضة 104
ثانياً:مطاردتي من رام الله إلى بيت لحم واضطراري الانتقال لمدينة الخليل 106
ثالثاً: الانتقال إلى مدينة الخليل وبدء التَّخطيط لعمليَّة خطف جنديٍّ 110
رابعاً: حادثة الاعتقال 116
خامساً:في أقبية التَّحقيق 118
الفهرس 127

اطلالة على سيرة كاتب السطور

الأسير المجاهد حسن سلامة

ولد الأسير المجاهد حسن عبد الرحمن حسن سلامة "أبو علي" بتاريخ 9 / 8 / 1971 م، في مخيم اللاجئين بمدينة خان يونس جنوب قطاع غزة، وتعود أصول عائلته الى بلدة الخيمة قضاء الرملة.

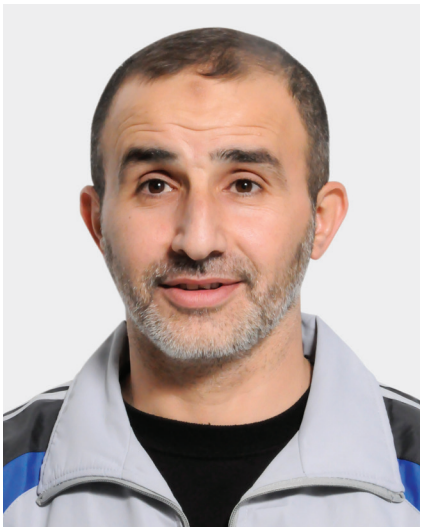

الأسير المجاهد / حسن سلامة

تشكلت ملامح التزامه في محراب مسجد الإمام الشافعي منذ نعومة أظفاره، فتعلق قلبه به وبرجاله الذين كان من بينهم الشهيد ياسر النمروطي حيث كانت تجمعهما علاقة ود وثيقة، والعلاقة ذاتها بالمجاهد يحيى السنوار، كما كان شديد التأثر بالشيخ المجاهد عبد الله عزام يطالع كتبه ويستشهد بأفكاره وآراءه، فتميز بشخصية فذة وديناميكية صلبة عنيدة تأبي الخنوع وترفض أشكال الخضوع، صاحب سمت إيماني فريد، فعطاؤه مديد وجهده جهيد ومن القلوب قريب.

برز دوره إبان اندلاع انتفاضة الحجارة فكان من أوائل المشاركين في فعالياتها، والمسارعين الى الانتماء الى أجهزة الحركة، فانتظم في جهاز الأحداث ومنه الى الصاعقة الإسلامية ثم الجهاز العسكري -كتائب القسام-، مراحل أبلى خلالها البلاء الحسن وترك جميل الأثر، أصيب مراراً وأعتقل تكراراً، ليخرج أصلب عوداً وأقوى شكيمة.

خرج من فلسطين مطارداً عام 1992م، وعاد إليها بعد قضاء عامين أمضاهما إعداداً واستعداداً لمواجة جنود الاحتلال، وفور عودته تلقفته أجهزة السلطة الفلسطينية تقتاده الى المعتقل، ليمضي سته أشهر في أقبية التحقيق، وما أن أفرج عنه واحتفى أهله بعودته حتى بادروا بتزويجه، غير أنه لم يركن الى متعة الدنيا أو زهرتها، وانما ذهب يشق طريق الجهاد بحثاً عن نصراً وسيادة أو شهادة وسعادة. برزت براعة فكرة وفتوة ساعده بعد تكليفه بمهمة الثأر للمهندس الشهيد يحيى عياش وانتقاله الى أرضنا المحتلة -مسرح عملياته-، حيث خطط لتنفيذ ثلاث عمليات استشهادية قضّت مضاجع دولة الكيان وأربكت ساسته، مسفرة عن مصرع 45 قتيلاً ومئات الجرحى، ليستقر به الحال مجاهداً صلباً صنديداً يقبع خلف قضبان السجان يسيء وجوههم ويرقب وعد القسام الذي لا يخلف وعده.

قسم التاريخ العسكري

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ

الشهيد المجاهد
مجدي أبو وردة

الشهيد المجاهد
رائد الشغنوبي

الشهيد المجاهد
إبراهيم السَّراحنة

الأسير المجاهد
أكرم القواسمي

الأسير المحرر
أيمن الرازم

الأسير المجاهد
محمد أبو وردة

هي رسالة للأجيال ونموذج للتاريخ يعطي إضاءة من زاوية بطلنا الأسير على جانب من التخطيط والتنفيذ لهذه العمليات التي هزّت أركان الكيان، وأوجدت في قلبه المرتجف جرحاً عميقاً لن يندمل إلا بكنسه عن أرضنا ومقدساتنا بإذن الله.

الإعلام العسكري

إصدارات قسم التاريخ العسكري
كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام